بسم الله الرحمن الرحيم

رحلـة النـور

«رحلة حياتي من دياجير الظلام إلى نور الإيمان»

بقلم

حجة الإسلام والمسلمين

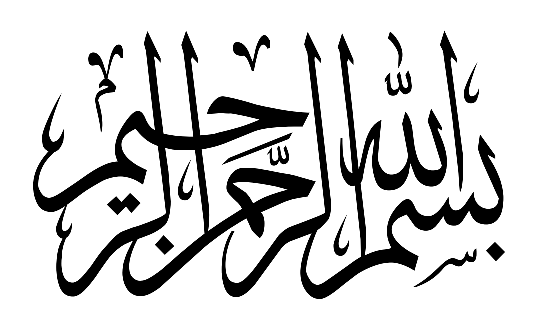
مرتضى رادمهر

ترجمه

سيد حسين حسيني

راجعه

رضائي جعفريان



هذا الكتاب..

حكاية رحلة من الظلمات إلى النور..

حكاية مأساة يعيشها الإنسان الحر الأبي..

حكاية مأساة يعيشها المؤمن الصادق..

حكاية مأساة من بلاد ومجتمعات خيم فيها الظلام...

حكاية سلمان الفارسي وقد بعث في هذا العصر من جديد..

حكاية تكشف عن مئات بل آلاف الحكايات مثلها..

حكاية تصور قوة العقيدة وصلابتها..

حكاية تحكي سعادة قلوب تفجرت إيمانا وتوحيدا..

قلوب أصبحت كقلب أبي ذر لا يصبر على الكتمان فيرفع دويه بالإيمان..

وكقلب بلال يتلذذ بالسياط الظالمة وهو يقول: أحد أحد، الله الصمد..

وكقلب ياسر أو سمية يتجرع كأس الشهادة معتزا على الأرض لتتلقاه الملائكة بالسعادة والسرور في السماء..

حكاية رجل باع نفسه لله بجنة عرضها السماوات والأرض..

حكاية رجل جاء من أقصى المدينة يسعى ويهتف: ربي الله، لا أعبد إلا إياه مخلصا له ديني..

حكاية رجل في زمن قحط الرجال..

حكاية رجل والرجال قليل..

سيد حسين حسيني

الإهداء...

- إلى والدي الكريمين الغاليين..
- إلى ابني العزيز «نويد» الذي تفتحت عيناه دون أن ترى له أبا..
- إلى جميع زملائي وأصدقائي ممن أحبوني أو كرهوني..
- إلى جميع الشباب الذين يبحثون عن الحقيقة..
- إلى الذين أرهقهم الشرك والبدع والخرافات..
- إلى الذين ولدوا أحرارا، ويعيشون أحرارا، ويحبون أن يموتوا أحرارا..
- إلى الذين نهلت من منهلهم العذب الإخلاص والاستقامة والثبات على الدين..
- إليك يا «شيخي» يا من حملتني أكف دعواته الضارعة بين يدي مولاه..
- إلى المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك..

مرتضى رادمهر

الباحث عن الحقيقة

منذ أن خلق الله الأرض، ووكل أمر خلافته فيها للإنسان كان الإنسان وكان الصراع بين الحق والباطل، وكان النور وكانت الظلمة، وكان الحق وكان الباطل.. ومع الأزمان أصبح الباطل تحت قيادة سيده إبليس يتخذ أشكالًا وألوانا.

وقد وصل الإنسان إلى درجة السخافة يوم أن تنازل عن موقع السعادة والقيادة وصار يركع للجمادات والنجوم والشمس والقمر..

فخرج إمام التوحيد وصاحب معول الحق سيدنا إبراهيم عليه السلام يضع للدعاة منهجا دعويا سليما في خطابه البسيط للعقول الساذجة، وهو يردد مقولا م الباطلة - على علم منه ببطلا ا ولكن على سبيل الاتعاظ فقط: هذا ربي.. هذا أكبر.. ثم لما عجزت الآلهة المخلوقة بدأ يخاطب عقولهم وقلو م: لا أحب الآفلين، وتدرج م في الدعوة إلى أن هتف عاليا بقوله: لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

وقال معتزا بإيمانه وتوحيده: ((إِني وجهت وجهي لِلذِي فَطَر السمواتِ والأَرض حِنِيفًا وما أَنا مِن الْمشرِكِين)) [الأنعام:٧٩].

وهكذا أصبح إبراهيم إماما للموحدين وأبا للباحثين عن الحقيقة على مدار التاريخ..

ودارت الأزمان، وبقي أصحاب العقول والقلوب الصافية يضعون أقدامهم على خطى إبراهيم عليه السلام، فكان منهم ذلك الغلام الذي تحدثت عنه سورة البروج، ذلك الغلام الذي جلس إلى الراهب يسمعه ثم آمن بدينه وصار يدعو إلى الله على بصيرة، ولما وجد أن شجرة التوحيد ستثمر إذا سقاها بدمه قام بعملية استشهادية كانت نتيجتها أن آمن الناس، ودمرت كبرياء الضلال، وذابت فرعنة الكفر[١].

وكان من أصحاب العقول والقلوب الصافية الذين يضعون أقدامهم على خطى إبراهيم عليه

(١) راجع تفسير سورة البروج وتفاصيل قصة الغلام في كتب التفسير والحديث.

السلام وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم: سلمان الفارسي.

ذلك الإنسان الذي سماه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بـ (لقمان هذه الأمة)، وعده المصطفى صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فقال: (سلمان منا أهل البيت)[(١)].

وهو وحده يكفي دليلًا على صدق رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو معجزة من معجزات هذا الدين لمن عرفه وقرأ سيرته.

نعم. إنه ذلك الشاب الذي فر من تحت قناديل بيت النار في بلاد فارس ليبحث عن الحقيقة، فتنقل بين شتى بقاع الأرض إلى أن ساقه صدقه في البحث إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد بغيته وضالته المنشودة.

سلمان رضي الله عنه من بلاد فارس.. تلك البلاد التي مازال أهلها يفتخرون بما روي فيهم: (لو كان هذا الدين في الثريا لناله رجال من هؤلاء)[(٢)]، وحقّ لهم أن يفتخروا، وحق لهم أن يعتزوا.

فيا أهل فارس! ويا أولاد سلمان! ويا أحفاد أئمة الإسلام! حق لكم أن تعتزوا بآبائكم وتفتخروا بأمجادكم، فأنتم من رفع الله شأنكم بهذا الدين، واستعمل منكم رجالًا يذودون عن الدين ويحفظون هيبته ويدعون إليه.

وهكذا.. ظل التاريخ يسطر أمجادا للمسلمين في هذه الديار علما وثقافةً وأدبا، تفسيرا وتنويرا، ومؤلفات لا تحصى ومجلدات لا تعد.

وظل الأعداء يحترقون في غيظهم على هذه البلاد وأهلها، فكادوا لهم الدسائس يوم أن خمد المسلمون وركنوا إلى السكون، فكان نجاحهم في حين غفلة المسلمين وقد أصبحت سيوف البدعة تحكم على رقاب الناس.. فجاءت أدوار الحاقدين ممن ارتوى من لبن النعرات القومية ينادي: يا لثارات المدائن.. ويا لثارات كسرى وأنو شروان!

وبدأ الطعن في الإسلام واشتد إلى درجة أن كاد الصفويون يقضون على ما بقي من بصيص

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق (٧٠/١).

(٢) بحار الأنوار (٣١٠/١٦).

نور هذه البلاد، ولكن الله سلم.

وأنى لهم أن يخمدوا مشاعل الهداية؟ وأنى لهم أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نـوره لا محالة ولو كره ا ـرمون؟!

((يريدونَ لِيطْفِئُوا نور اللهِ بِأَفْواهِهِم والله مِتم نورِهِ ولَو كَرِه الْكَافِرونَ * هو الذِي أَرسلَ رسولَه بِالْهدى ودِينِ الْحق لِيظْهِره علَى الدينِ كُلِهِ ولَو كَرِه الْمشرِكُونَ)) [الصف:٨-٩].

وما رحلات الهداية المتوالية في هذه البلاد إلا تصوير صادق عن قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لو كان هذا الدين في الثريا لناله رجال من فارس) (١).

أجل! فقد أصبح الدين في الثريا وأصبح المؤمن كالقابض على الجمر في يده.

وفي هذه الظروف القاسية التي يعيشها المسلمون نسمع يوميا عن عشرات الأسماء ممن خلعـوا لباس الضلالة، وتقمصوا لباس الحق والتوحيد على سنة أبيهم سيدنا سلمان الفارسي رضـي الله عنه.

وما قصة هذا الكتاب إلا سيرة لرجل من آلاف الرجال الأبطال، وهو حجة الإسلام **مرتضى رادمهر**..

وأنت تقرأ هذا الكتاب تعود إلى خاطرك حلقات رحلة سلمان الفارسي رضي الله عنه نحـو الحقيقة، وكأن سلمان قد بعث إلى الحياة من جديد في شكل رجل آخـر يـسمى: (**مرتـضى رادمهر**).

ولولا صدق الرجل وإخلاصه في إيمانه لم يكن لهذا الكتاب هذا الصيت وهذا الكم في النـشر والتوزيع.

وكان ولابد أن ينقل إلى العربية وغيرها من اللغات؛ لتكون صورة صادقة عن آلاف النماذج المتماثلة، وعن مئات الصور المأساوية التي قصر في حقها المسلمون.

فنضع الترجمة العربية لهذا الكتاب أمامك أيها القارئ العزيز: لتبحث في ظِلالها عن واجبـك تجاه دينك وأمتك وتجاه إخوانك المهتدين.

(١) أعيان الشيعة: (٢٨٦/٧)، غريب الحديث لابن قتيبة (٣٣٠/٢).

هذا، ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجنبنا الزلل والمعاصي، وأن يـستعملنا لخدمة دينه، ولا يسلط علينا ظالمًا أبدا ما أحيانا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

سيد حسين حسيني

من أجل عقيدته[1]

بعد كل هذه الآلام والمصاعب التي نلتها من أجل حبي له كنت أعيش تائها مشردا مظلوما غريبا حيرانَ لا أدري إلى أين المصير..

فجأة لفت أنظاري شيء من بعيد، فتوجهت نحوه سريعا، فإذا بي أسمع أصوات آلام وآهات قد هزت أركاني، وأرجفت فؤادي، فمد إليّ يديه وكأنه يعرفني من أنا.

نظرت إلى عينيه المليئتان بالمآسي والدموع فأحسست شيئًا عجيبا يسري في قلبي، فقلت في نفسي: لعله مشرد مثلي، وكنت أقرأ من الدموع المحلقة في عينيه قصص الظلم والتعذيب كما كنت أتصفح أوراق ظلم الجبابرة وقسوتهم عليه من نبرات صوته الحزين.

نعم. كان مثلي.. عاشق يبحث عن محبوبه، مجاهد غيور قد امتطى الصعاب والذلول، طائر حزين مقصوص الجناحين.

وبعد أن دققت النظر في عينيه الجميلتين سألته عن اسمه وقصته، فأجابني: بأن اسمه (مرتضى) في الماضي، و(مصعب) في الحاضر، و(مرشد الآخرين) في المستقبل، فتقدمت إليه رويدا رويدا لأسمع قصته بآذان صاغية وبعقل واعٍ وضمير حي..

لقد وجدته عالمًا ممتازا، وطبيبا حاذقًا، ومحبا للحقيقة بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني.

كان يعيش في الرفاهية والسعة، لكنه أبى إلا أن يغادر ثراء أبيه الباذخ، ويرمي بنفسه في أحضان الفاقة بحثًا عن خلاص عقله وروحه.

أجل! في سبيل العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والخرافات، وفي سبيل العشق الصادق لدين الصادق الأمين عليه صلوات ربي وتسليمه هجر جميع مظاهر العيش الرغيد، وطار بعيدا عنها ليتعانق مع الفقر والفاقة والتشرد معتزا، ويخالط سياط العقاب والتعذيب في السجون، ونيران الظلم والطغيان من أيدي الحكام اللئام.

---

(١) هذه المقدمة قُدم ا الكتاب عند نشره لأول مرة باللغة الفارسية، وكاتبها ممن رافق المؤلف في ديار الهجرة - باكستان - حينا من الزمن، فرأينا أن نثبتها كما هي في الترجمة العربية تقديرا لجهوده وجهاده.

وبعد أن رأيت الصدق في قوله، وقرأت الحقيقة في نفسه، والإخلاص في نيته تغلغل حبه في أعماق قلبي؛ فأحببته من كل نفسي.

نعم. من أجل عقيدته حالوا بينه وبين أهله وولده، وغصبوا منه ثروته وأمواله، وطردوه من الجامعة والحوزة، وأنزلوه من أعلى المراتب والمناصب؛ ظنا منهم أنهم بذلك يقتلون الإيمان فيه.

وأما هو فقد تقبل كل هذا بصدر رحب، ورحل بعيدا عنهم حفاظًا على عقيدته وهدفه إيمانا منه بذلك.

يعيش للأبد.. وقد عاش، وسوف يعيش في سطور التاريخ وفي صدور الرجال وعلى شفاه الصالحين.

جعل الله له لسان صدق في الآخرين!

وبعدما رأيت مرتضى، وسمعت منه ما حدث له من التعذيب والطرد والتشريد وغيرها ثم ثباته واستقامته على عقيدته ودينه تيقنت بأن الذي يخلص في عمله ويدرك الحقيقة من قلبه وعقله يسهل عليه أن يترك كل شيء فداءً لها وحفاظًا عليها، ويتقبل الصعب والذلول بصدر رحب في سبيلها.

من أجل إخلاصه وصدقه كان يجذب إلى نفسه كل من جالسه وخالطه، وإذا جلس مجلسا كان الناس يقبلون عليه ويستمعون إلى دروسه ومحاضراته بآذان صاغية وقلوب متفتحة؛ لأن كلماته كانت كالنور الساطع الذي ينور قلوب السامعين له، ويبين لهم الطريق الهادي إلى الحق والحقيقة، وكنت أحد الذين استفادوا منه، وقد تعلمت منه دروسا في الإخلاص والإيثار والاستقامة على الدين والعقيدة والفداء لأجل الغاية السامية التي هي أعز علي من الدنيا وما فيها.

ولكن! للأسف الشديد بعد أن اشتدت عليه المحن وأحاطت به من كل صوب وضاقت عليه السبل هاجر بعيدا إلى الديار المجهولة، وتركني مغموما حزينا.

وفي اللحظات الأخيرة وهو يودع ابني الصغير الذي تعلّق به تعلّق الفرخ بأمه ويحتضنه ويقبله؛ شعرت بأنه قد تذكر ابنه الصغير «نويد» وقد تحلقت الدموع في عينيه، وانقطعت نبرات صوته، ولكنه كان عزيزا في نفسه، معتزا بإيمانه، فكان يتمالك نفسه ويتظاهر بالفرح والسرور، ويتصنع البسمة تلو الأخرى لئلا يعرف أحد بما يدور في خلجات صدره، وما يكنه فؤاده.

ولا أنسى أبدا تلك اللحظات الأخيرة التي قضيناها معا، ولا ذلك البيت الذي كان يردده

بصوته الحزين، يعبر فيه عن آلام الفراق، فكان يردد:

روزها فكر من اين است همه شب سخنم كه چرا غافل از احوال دل خويشتنم

وهي تعني:

تفكيري الدائم بالنهار وكلامي طوال الليل لماذا أنا غافل عن أحوال قلبي

وكلما اشتكى من الآلام والمصائب - وقلما اشتكى مع كثر ا وشد ا - كنت أُصبره وأقوي عزيمته ذه الآية التي كانت إكسير آلامه: ((لا تحزنْ إِن الله معنا)) [التوبة:٤٠]، ثم ودعته وعلى شفتي قوله تعالى: ((حسبنا الله ونعم الْوكِيلُ)) [آل عمران:١٧٣].

ولكن.. أين رحل؟ وفي أي الديار حل؟ وما هو مصيره؟

حقًا! لولا القلم! ولولا الكلمات الجميلة والتعبير الصادق الأمين، ولولا الكتابة لما عرفنا عن سير الشخصيات العظمية وأحوالهم كهذه الشخصية الفريدة التي نحن نتحدث عنها ونقرأ سير ا.

فيا أيها القلم! دعني أقبل حِرمك الصغير، وأشكر المولى عز وجل الذي أوجدك وخلقك لمنفعة عباده وأقسم بك تعظيما وتشريفًا لمقامك: ((ن والْقَلَمِ وما يسطُرونَ)) [القلم:١].

إن في القراءة والمطالعة والتفكر في حياة الشخصيات العظيمة من السابقين دروس وعبر للاحقين، ونماذج وقدوة لهم ليقتدوا ا؛ ولذلك طلب بعض الأحباب والأصدقاء من هذا الغريب الشريد الذي خرج مهاجرا إلى ربه وكان يعيش بينهم أن يسطر قصة حياته المليئة بالمآسي والأحزان؛ عسى أن تكون شمعة في طريق الذين يبحثون عن الحقيقة، وعسى أن تكون سببا «لنويد» الصغير أن يتذكر أباه المشرد، وأن يتعرف عليه، وعسى أن تكون سببا في أن يدرك والداه فيحنوان على ابنهما ويعودان إليه ليظللاه في حضنهما المليء بالعطف والحنان من جديد، وتحت ظِلال عقيدة جديدة.

ولكن مع الأسف الشديد فإن مشاكل السجن والتعذيب والحرمان والتشريد أخرته عن تحقيق هذه الأمنية، والآن وقد قرر أن يكتب ذلك أبت تلك الذكريات الأليمة والآلام الجسيمة وآثار القسوة والتعذيب التي وقعت عليه في السجن إلا أن تحول بينه وبين التفكير والكتابة..

لكنه رغم كل هذه المشاكل والمصائب التي أصابته استطاع بعون الله عز وجل أن يسطر هذا

القدر القليل من قصته الطويلة الحزينة؛ لعله يشفي غليل القارئ والسامع.

وها نحن نقوم بنشرها ليتعرف شبابنا اليوم على قصة صاحبنا المؤلمة؛ ليبتعدوا عن طرق الشك والخرافات، وليهتدوا إلى طريق الحق واليقين.

وما ذلك على الله بعزيز...

(١٣٨١/٥/٢٥) الهجري الشمسي

الموافق لـ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)

المقـدمـة

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا للإسلام والإيمان والإحسان، والصلاة والسلام على سـيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين إلى يوم الدين.

حمدا لك يا رب الكون ويا خالق العقل والفكر، ورازق العلم والمعرفة والهداية والنور.

نحمدك يا خالق السماوات والأرض ومن فيهن، ويا مالك الكون ومن فيه، لا نعبد إلا إيـاك ولا نركع إلا بين يديك، فلا رب لنا ولا خالق لنا سواك!

أنت الله الذي وهبت لنا عقولًا نفهم ا، وقلوبا نعي ا، وصدورا ملأ ا بمحبتـك ورجـاء رضائك.

إلهي! أحمدك كل الحمد، وأشكرك كل الشكر، بأنك هديتني للإسلام وشرحت قلـبي بنـور الإيمان.

إلهي! لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على أنك وهبت لي عقلًا يفكر، وقلبا يعشق الحق ويبحث عنه!

إلهي! لك الحمد على عظيم منتك علي، فقد وهبت لي شجاعة ترجو الشهادة، وجرأة للنطق بالحق، ولئلا أخاف فيك لومة لائم!

عزيزي القارئ!

ما أضعه بين يديك ليس إلا بكاء على أيام ضلالتي في متاهات الجهل والبدع، وتقريرا عـن ظلم الطغاة وقتلة الحرية، وأعداء العقل والبشرية.

رسالة مؤلمة تكشف أيام الهداية والوصول إلى المعبود الحق الذي لا إله سواه، ولا معبود بحـق إلا إياه.

كلمات تتحدث عن ميلاد جديد، وحياة جديدة في ظِلال عقيدة صادقة، ونبراس على الطريق الصحيح والصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبيـاء والـصديقين والـشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فإن كنت أخي القارئ! تجد اضطرابا وركاكة في أسلوبي، وتفتقد أبياتا شعرية تناسب المقام والحال؛ فأعتذر منك إذ لست أديبا أريبا ولا شاعرا مفوها، وإنما هي خواطر وحديث عن أيـام عشتها، وضعتها بين هذه السطور لتنتقل إلى صدرك وإلى كل الصدور.

كنت أشعر في قرارة نفسي بأنه يجب علي أن أكتب شيئًا عن سيرتي الذاتية كمقدمة لتلـك البحوث والدراسات في الجامعة و«الحوزة» التي أكلت من عمري سنين ثم ساقتني إلى الحق المبين، وعلى تجاربي في السجن والتعذيب والهجرة، وقبل هذا وذاك على الأسباب التي جعلتني أرتقي من وحل البدع لأقف على شموخ الحقيقة.

كتبتها لتكون تجربة واقعية بين يدي كل حر يريد أن يفَكر حرا بعيدا عن قيـود التعـصب الأعمى والتقليد المميت، ولتكون تجربة حية بين يدي كل من يبحث عن الحقيقة ويتعطش لهـا، وكل من شمر عن أيادي الِجد للبحث والتدقيق، والمدارسة والتحقيق في سبيل الوصول إلى طريـق الهداية وسبيل الرشاد.

عزيزي القارئ!

كنت أتمنى أن تسمح لي صحتي وتتركني أمراضي أن أضعك أمام صورة تفصيلية دقيقة واضحة تبين لك كل ما جرى لي، ولأكشف لك عن حقائق كثيرة أثرت في وجعلتني أفكر وأعيد النظـر فيما كنت فيه من العقائد والأفكار..

إلا أن الظروف المحيطة بي ووضعي الصحي لم يسمحا لي بشيء من ذلك؛ لكـن اسـتجابة لطلب إخواني وأصحابي اضطررت أن أضع هذه السطور المختصرة، أملًـا في أن أكتـب شـيئًا تفصيليا أكثر من هذا إذا مد الله لي في الحياة، وعادت إلي الصحة والنشاط.

حاولت أن أُقدم صورة مختصرةً عما حدث لي في هذا الكتيب طعمتها بشيء مـن الـشواهد والأدلة بلغة سهلة ميسرة على سبيل الحكاية العادية، ولم أتبع أسلوب أهل الروايـات والقـصص الفنية.

ولا أجد لهذا الكتيب وصفًا إلا أن أقول بأنه صورة مختصرة تقدم لك الأسباب التي كـسرت قيود الجهالة والتعصب والتقليد في نفسي، وأخرجتني من البدع والخرافات والأسـاطير إلى نـور الإيمان، وتضع بين يديك كيف سقطت أسوار الجهالة من أمامي وذاب التقليد الأعمى والتعصب

المقيت من أمام عيني.

ولك أن تتصور كيف استطعت تحت رعاية ربانية أن أهرب من ظلمات الإفراط وضلالة التفريط ومكر الشك والتردد لأتسلق جبال العلم والمعرفة ومن ثم أصل إلى أُفق الحقيقة والهداية.

ولا أنسى أن أؤكد بأن الخروج من ظُلمات الشك والتردد والتعصب الأعمى والإفراط والتفريط وهيلمان المذهب - الذي يسقى بألوان من الأمطار الدعائية والإعلامية ويزين بشتى العبارات الجميلة والخطب الرنانة صباح مساء - في بلد كإيران ضرب من المستحيل، إلا إذا استعان المرء بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي بيده مقاليد السماوات والأرض سبحانه وتعالى، وصدق معه الوعد.

أحمد الله عز وجل فاطر السماوات والأرض، حمد الشاكرين على توفيقه إياي ألا أركع أمام الحياة المادية وزخارفها التي هيأها لي أبي، وألا أخضع للتعصب المذهبي والعقائد الخرافية التي ربتني عليها والدتي..

كما أحمده بأن وفقني إلى دراسة الحقيقة ورفع الشبهات وستائر الظلمة من أمامي، ووفقني فأدركت بأن هناك عالمًا إسلاميا أوسع مما نحن فيه من البدع والضلال، ومن ثم قادني إلى الحقيقة التي أعتز بها، وستكون بإذن الله سببا لسعادتي في الدنيا والآخرة.

وهأنا أشعر بسعادة لا تضاهيها سعادة، إذ شرح الله صدري للإيمان، فارتديت ثوب عقيدة أهل السنة والجماعة، وعن علم ويقين وإيمان صادق نزعت ما كنت فيه من العقائد الشيعية، والحمد لله رب العالمين.

أخي المسلم أختي المسلمة! ما ذكرته هنا يدور في فلك عالَمين متضادين، وعقيدتين متباينتين، وأفكار لا تجمعهما إلا الادعاءات الجوفاء لا غير، هما: مذهب أهل السنة والجماعة، والعقيدة الشيعية.

وأقول - وأصرح مرةً بعد أخرى - إنني لا أنتمي إلى أي حزبٍ سياسي، ولا أدعو من خلال كتابي هذا لأي مذهب أو رؤية سياسية، وإنما أردت من خلالها وجه الله سبحانه وتعالى، وأرجو الله عز وجل أن يتقبلها مني، ويجعلها سبيل رشد وهداية لأهلي وأصدقائي وأمتي..

كما أسأل الله عز وجل أن يهب شبابنا عقولًا يفكرون بها، وأن يوفقهم للتفكير الصادق

والفهم الصحيح والاختيار السليم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مرتضى رادمهر

(١٣٨١/١/١ش)

الموافق ليوم الخميس (٦/محرم الحرام/١٤٢٣هـ.ق)

(١٩/ آذار/ ٢٠٠٢م)

النسب والأسرة

أنا المسمى مرتضى رادمهر، ابن الدكتور فرزاد رادمهر، ولدت عـام (١٣٥١ش) (الموافـق لـ ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م)، في إحدى الضواحي الراقية من مدينة (طهران) عاصمة إيران.

مما أذكره من شجرة نسب أسرتي حسب ما رواه لي والدي ومما هو مشهور في العائلـة: أن نسبنا يرجع إلى الأسرة المالكة من سلالة ملوك القاجار، فقد كان جد والدي حفيدا لفخر الملوك، وهو أخو الملك القاجاري (ناصر الدين)، ولم تزل عائلة والدي تعتز بتقاليدها الملوكية مما ورثتـها من الأسرة المالكة القاجارية من السنن والعادات الأشرافية، وتحاول أن تنسجم مع كل ما هو غربي أو أوروبي.

أما والدتي الدكتورة السيدة عالية الحسيني، فيرجع نسبها إلى السادات الحسينيين، وهي تعتـز كثيرا بتقاليدها المذهبية، وتلتزم بجميع العادات والرسوم الموروثة حرفيا وإن كانت طبيبة مثقفة في الظاهر متنورة تعيش عصرها..

تتباين وجهات نظر عائلة والدي وعائلة والدتي تباينا واضحا، وتكاد لا تلتقي في شيء، فلكل عائلة اتجاهها الفكري الخاص، وشخصيتها الاجتماعية الخاصة ا.

أما ما جمع بين والدي تحت سقف واحد فحكاية ترجع إلى أيام زمالتهما في كلية الطب، فقد كان والدي ووالدتي يدرسان في كلية واحدة وفي نفس المرحلة الدراسية من نفـس التخـصص، وكانا طالبين متفوقين نشيطين ذكيين مجتهدين، يحصلان دائما على المرتبة الأولى في الدراسة..

هذا التفوق العلمي والزمالة الدراسية والاحتكاك الكثير في ا تمع الجامعي أقام صلة احتـرام وود بينهما واستمرت الحكاية إلى أن وقفت على قصة الزواج التي جمعت بينهما في عش الزوجية.

لا شك أن الحكاية لم تكن ذه البساطة، فالتباين في الرؤية والتفكير الساذج بين الطبقـات المختلفة في ا تمع لابد أن يلعب دوره، فقد كانت عائلة الوالد تعتبر نفسها من الأسـر الراقيـة والمثقفة ثقافة عالية ومن سادة ا تمع، ولهذا وقفت سدا منيعا تعارض هذا الزواج، وقـد اشـتد الخلاف بين الأسرتين فكل منهما تعتز بثقافتها ونسيجها، ولا ترى الثاني يضاهيها أو يماثلها، ومع

كل هذا وذاك أصر الوالدان على موقفهما، وفي النهاية تم الزواج رغم جميع الموانع والمخالفـات، لكن بقي ظِلال هذا التباين الفكري والمنهجي بين العائلتين؛ مما خلق جوا فكريا وروحيا متـوترا ظل يؤثر في كل مواقف الأسرة وبرامجها.

حصل هذا الزواج في ظل تلك الظروف التي أشرت إليها، وبدأت الأسرة الجديـدة تخطـو مسير ا في الحياة بشكل طبيعي، لكن بقيت آثار حكاية أخرى تلاحق الأسرة طـوال مـسير ا، لعلها جديرة بالذكر هنا، وهي:

أنه في المرحلة الجامعية كان شخص آخر يسمى الدكتور منصور حكاكيان زميلًا لوالدتي في الدراسة، وقد كان من أقارب الأقربين لوالدتي، ويبدو أنه كان يرجو الزواج من والـدتي، وقـد سعى في ذلك.

ويوم أن تم زواج والدتي من والدي ذهبت أحلام الرجل أدراج الرياح، وحمل في نفسه بغضا وحقدا شديدا على والدي، وكان يسعى دائما ليعكر الجو على والدي، فيتشاجر معه كلما وجد فرصة؛ لعله يستطيع أن ينتقم منهما أو يشفي غليل صدره..

كان يحاول تشويه صورة الوالد في كل ا الس وا امع العلمية، ويثير الظنون والشكوك عليه في ا تمع الجامعي، ويحاول أن يفسد عليه الجو بأي طريق أمكنه..

كان وقْع هذه المواقف الرخيصة على والدي كبيرا؛ حتى اضطر أن يتنازل عن كل النجـاح الذي حققه إذا كان برفقة حكاكيان، فلقد كان عضوا في الهيئة العلمية في الجامعة، وكان أسـتاذًا في كلية الطب، وباحثًا في قسم المختبر والكشف العلمي، فترك هذا كله، بل وترك البلد وسافر إلى الخارج.

ومن الأشياء الطريفة التي حصلت في تلك الفترة: أن الوالد استطاع بعد دراسات وتحقيقـات كثيرة أن يصل إلى علاج لسرطان الرئة، ولما سمع الدكتور «حكاكيان» بالموضوع حاول جاهـدا أن يسرق تركيب صناعة الدواء من أبي ليسجله لنفسه، لكن كل مساعيه باءت بالفـشل، فثـار الحقد والكره الدفين في نفسه من يوم أن خفقت آماله في الزواج من الوالدة، فبدأ يفتـري علـى الوالد ويسعى لتخريب سمعته والتطاول على شخصيته، ولاسيما في ا امع العلمية والجامعية.

وضاقت الأرض على الوالد بمـا رحبـت، إلى أن اضـطر في عـام (١٣٥٧ش) (الموافـق

لـ١٩٧٨م، و١٣٩٨هـ) للسفر إلى فرنسا لإكمال الدراسة في تخصص المخ والأعصاب.

قضى الوالد ثلاث سنوات في فرنسا، وكان قد تزوج هناك بفتاة نصرانية تسمى السيدة الدكتورة «ماريلا»، كانت زميلة له في الدراسة.

«ماريلا» كانت بنت الدكتور فريشتر (**Frishter**) أحد أساتذة الوالد.

سألت «ماريلا» والدي يوما: من أين أنت؟ فأجابها الوالد بأنه من إيران.

ثم سألت «ماريلا» والدي، هل هو محمدي أو مسلم، وكان والدي يعرف أن «ماريلا» معجبة بمذهب المحمديين - أي السنة - فقال لها بأنه محمدي، فصدقت الوالد وتم الزواج.

ولكن بعد فترة من الزمن أدركت «ماريلا» بأن الوالد ليس محمديا بل شيعيا.

حاول الوالد أن يقنع زوجته بأنه محمدي، لكن كل محاولاته فشلت، وقالت له «ماريلا» بالحرف الواحد: إن المحمدية لا تعني أن المحمديين يعبدون محمدا، أو أنهم جعلوه رمزا جامدا في حياتهم يزينون بيوتهم وحياتهم بصوره وتماثيله، وإنما المحمديون هم الذين جعلوا حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفقًا لما كان يقوم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ويسمون بأهل السنة والجماعة.

وقالت لوالدي: أنتم أيها الإيرانييون تلعبون على كل الحبال، وتحرفون الكلم عن مواضعه، ولكم ألف وجه ووجه في الحياة..

وهكذا فُسخ هذا الزواج بعد فترة وجيزة.

بعد هذا ترك الوالد فرنسا وسافر إلى كندا، وظل يعيش في الخارج مدة اثني عشر عاما.

طوال هذه الفترة الطويلة التي قضاها الوالد في الخارج بقي على صلة دائمة بالأسرة عن طريق الاتصالات الهاتفية، وكذلك سافرت أمي مرتين لزيارة الوالد هناك، وفي فترة غياب الوالد كان والده - جدي - يرعى شؤون البيت ويهتم بنا.

وكان الدكتور حكاكيان يزداد خبثًا على خبث، ووصل به الأمر إلى درجة أنه أكثر من مرة وبطرق مختلفة طلب من والدتي أن تطلب من الوالد الطلاق ليتزوجها هو، لكن والدتي كانت آية في الحياء والوفاء؛ مما جعلت الدكتور حكاكيان يكاد يموت غيظًا، وتفشل خططه كلها.

وفي عام (١٣٧٠ش) (الموافق لـ ١٩٩١م، ١٤١١هـ)، رجع الوالد إلى طهران مرة أخرى،

ودخل بقوة أكثر في ا تمع الجامعي والعلمي وبدأ يدرس في الجامعة.

ووصلت الدكتورة «ماريلا» - مطلقة والدي - بعدما تزوجت من رجل آخر إلى طهـران لزيارة والدي، وكانت على صلة جيدة - في دائرة الشؤون الأخلاقية - مع والدي، فكل يحتـرم الآخر.

وكان من وفائها للوالد أ ا أخذت تركيب دواء سرطان الرئة - الذي كاد يضيع بين أوراق الوالد القديمة - إلى أمريكا، وبعد دراسات مختبرية عديدة أخرجت النتائج ضمن عدة بحوث ونشر في كتاب هناك، وأرسلت الدكتورة «ماريلا» نسخة من الكتاب المزبور إلى الوالد، وكان والدي دوما يرجع الفضل في هذا النجاح إلى مطلقته الوفية المحترمة الدكتورة «ماريلا» النصرانية.

ولم يسجل دواء سرطان الرئة باسم الوالد، لكنه كان يعتز دوما أنه شارك في هـذا العمـل الإنساني العظيم.

إن غياب الوالد عن الأسرة والبلد طوال هذه الفترة الطويلة لم يكن أمرا هينا بالنسبة لنا، فقد ذاقت الأسرة الأمرين، ففي غيابه ظل الناس الذين كانوا يعارضون هذا الزواج يحفرون لنا الحفـر ولا يكادون يسكتون عنا؛ مما جعل جو البيت جوا متوترا دائما، وجعلنا نعـيش في اضـطراب وحيرة، وكانت ثمرة هذا الزواج ثلاثة أولاد: ابنين وبنتا.

وما أريد أن أقوله هنا: هو أن أسرتنا كانت مزيجا من ثقافتين مختلفتين، بل متناقضتين تماما.

وبعبارة أخرى: حضارتين متعارضتين، وأفكار يناقض بعضها بعضا، وعـاداتٍ وتقاليـد لا تستطيع أن ضم بعضها بعضا تجمعت تحت سقف واحد، فعائلة الأب كانت رمزا للرؤية الغربية والانحلالية للحياة، وعائلة الأم على رأس الهرم في الالتزام بالتقاليد والعادات المذهبيـة الجوفـاء، وكانت تحاول جاهدة أن تتفاهم رغم كل هذه التناقضات.

لم نكن نعاني من أي ضيق اقتصادي، بل كنا نعيش في مرح وحب، ولا ينقصنا شيء من متع الحياة ولا من الحب والحنان.

ومما لاشك فيه أن من أماني كل أب وكل أم أن يعيش أولادهما في سعادة وصحة، وأن يوفقوا في الحياة، وكانت هذه أُمنية والدي كذلك.

كان والدي وأسرته الكبيرة يتمنون أن أُصبح طبيبا متخصصا مشهورا، لكن أُسـرة والـدتي

كانت تحرص وتصِر على أن أصبح عالم دين.

وإن كنت اليوم مطرودا من والدي وأسرتي وقد نبذوني بعيدا عنهم، لكـنني لا أسـتطيع أن أنسى تلك القُبلات الحارة التي كانت تترجم حنان والدتي العزيزة على خدي، ولا تلك النظرات التي كانت تمتلئُ حبا وحنانا من عيون والدي العزيز، ويعلم الله عز وجـل أن لهمـا مكانـا في صدري، وأن قلبي يعتز بحبهما بعد حب الله عز وجل والعشق لعقيدتي وإيماني، وأنني أحبهما حب الولد البار لوالديه، حب ابن يحترق حزنا وألمًا وهو يرى والديه ينكران ويجحدان الحق الذي معه.

وإنني آسف جدا إذ أصبحت سببا في أن يترك والدي بلدهما للأبد، وأعتـذر منـهما أشـد الاعتذار.



من الصبا إلى البلوغ

لم أزل أذكر يوم أن غادر والدي البلد - في الظاهر - لإكمال دراسته، وللحـصول علـى شهادة التخصص في الطب، وفي الواقع إنما هو هروبا من الجو الذي اختلقه له زميلـه وصـديقه السابق الدكتور حكاكيان من تشويهٍ لسمعته وبث الإشاعات والافتراءات عليه.

أذكر أن إدارة الأسرة من بعد الوالد وكِلت إلى جدي، ولا أذكر من تلك الأيام شيء آخـر ذي بال، إلا أنني أشعر بأن الجو في الأسرة كان جوا مضطربا عكرا، يغشاه التضاد بـين أفكـار وتقاليد عائلتي والدي ووالدتي، وأن غياب ظِل الوالد كان في واقع الأمر صدى لتلك الاختلافات في الأفكار والأذواق، وكل هذه كانت جديرة بأن تؤثر في تربية الأولاد وأخلاق الأسرة.

ومما أذكره من تلك الأيام: يـوم أن أخـذت والـدتي بيـدي عـام ١٣٥٩ش(الموافـق لـ١٩٧٨م/١٤٠٠هـ)، وسجلت اسمي في مدرسة منطقة «نياوران»، وكانت تسمى في تلـك الأيام مدرسة ياسمن.

كنت في تلك الأيام صغيرا لا أشعر كثيرا بما يدور حولي، لكنني أذكر جيدا أنني سعدت كثيرا بتسجيلي في تلك المدرسة، وكدت أطير فرحا.

أيا كانت الظروف.. أكملت المرحلة الابتدائية في تلك المدرسة ولم يكن يتجاوز عمري اثني عشر عاما بعد، وأذكر جيدا بأني في ذلك العمر كنت أجد نفسي أميل إلى الالتزام بالتقاليد الدينية والمذهبية.

لا أدري ماذا وكيف حدث؟

لكنني أذكر بأنه طرحت في الأسرة قضية إكمال دراستي في الحوزة العلمية التي تـسمى «ولي عصر».

ولأنني كنت أميل إلى الجو المذهبي والالتزام الحاكم على الأسرة، كنت أشعر بمـدى اهتمـام والدتي بهذا الجانب، وكنت أشتاق إلى الجمع بين دروس المدرسة الإعداديـة ودروس المدرسـة الدينية.

وفي عام (١٣٦٣ش) (الموافق لـ ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ) بدأت في الجمع بين دروس المدرسـة الإعدادية العصرية وبين دروس المدرسة الدينية.

البدء في الدروس الدينية

بعد شبه توافق نسبي بين عائلة والدي وعائلة والدتي، وبناءً على نصائح والدتي ورغبتها وشوقي الخاص للدروس الدينية تم تسجيلي في الحوزة العلمية (ولي عصر) في طهران عام (١٣٦٣ش) (الموافق لـ ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ).

ووصل حكاية تسجيلي في المدرسة الدينية والاختلافات والكلام الذي دار في الأسرة إلى والدي في كندا، وبما أنه كان يتمنى أن أُكمل مسيرته العلمية وأن أصبح طبيبا متخصصا حزن على موقفنا هذا وأصر على تركي للمدرسة الدينية والتحاقي بالمدرسة الإعدادية العصرية، وإكمال الفصول المدرسية هناك؛ فأصبحنا في ورطة شديدة، فقد كنت أميل إلى الدراسات الشرعية، ويحرضني على ذلك جو أسرة والدتي واهتمامها، لكن على عكس من هذا الموقف كان موقف أسرة والدي المتنورة نحو الدراسات العصرية.

كان موقف والدي شديدا من توجهي للدراسة الشرعية..

وجاء الفرج على لسان والدتي عندما قررت أن أُكمل دراستي في المدرسة الدينية وبجوارها أُكمل دراستي في المدارس العصرية.

واتفقنا مع بعض المعلمين على محاضرات خاصة إضافية في البيت، وبذلك استطعنا أن نرضي الوالد دون أن نعرقل مسيرتي التعليمية في المدرسة الدينية.

وبما أنني كنت - بحمد الله - أتمتع بذكاء خارق وحفظ وحركة ونشاط وعشق للدراسة أكملت السنة الأولى من الإعدادية والسنة الأولى من المدرسة الدينية بالتفوق في المدرستين، وإن كانت الدروس الخاصة مكلفة إلا أن وضع الأسرة الاقتصادية لم يكن يضايقني من هذا الجانب.

وهكذا.. انتهت السنة الأولى من المدرسة الإعدادية والمدرسة الدينية بشكل مرضٍ جدا.

وقررت الوالدة أن أُكمل الفصل الثاني من الإعدادية والدينية في إحدى المدارس الدينية في مدينة (قم)، فقد كانت تظن بأن مستوى الدراسة فيها عالٍ، وهكذا التحقت بمدرسة «كرماني ها» للعلوم الدينية بمدينة «قم المقدسة».

وبعد فترة وجيزة حضرت والدتي إلى «قم» لتطمئن على دراستي، ولما زارت المدرسة ورأت بأم عينها السكن الطلابي ونوعية الطعام الذي يقدم للطلاب والجو العام فيها لم يعجبها الأمر، فذهبت مباشرة إلى حي «زنبيل آباد» واستأجرت بيتا مناسبا، وعينت أستاذًا خاصا ليدرسني دروس الإعدادية بجوار ما أدرسه في المدرسة الدينية؛ فأكملت فصل «المرحلة الأولى» في مدرسة «قديرية» الدينية، قرب مسجد «شاه إبراهيم سابق».

وبتوفيق الله ثم ذكائي ورغبتي للدراسة والعلم وإخلاصي في العمل ساعدني ذلك على إكمال مراحل «فصل المقدمات» و«فصل المرحلة الأولى» مع الفصول الثلاثة من الدراسة الإعدادية في وقت واحد، وكنت في كل المراحل الدراسية من المتفوقين في المدرسة، مما جعلني موضع اهتمام خاص من كبار الأساتذة، أمثال: آية الله موسوي، وآية الله أستادي، وآية الله وحيد خراساني، وآية الله حسيني.

ولا أنسى أن أعترف - معتزا - بأن الفضل في كل هذا التفوق الدراسي وهذا النجاح التعليمي يرجع إلى اهتمام خاص ورعاية عالية كانت تبذلها بكل سخاء وإخلاص أمي العزيزة، فلها مني جزيل الشكر والاحترام أبدا ما أحياني الله عز وجل.

وهكذا.. على نفس النمط أكملت المرحلة الثانوية من الدراسات العصرية بجانب دراستي في المدرسة الدينية - الحوزة العلمية -.

ودرست مرحلة «السطح» و«الخارج» من دروس المدرسة الدينية في «الحوزة العلمية الرضوية».

وحدثت لي حادثة لطيفة يوم أن كنت أقضي إجازة الصيف في رفقة الوالد الذي عاد إلى البلد بعد اثني عشر عاما وهي:

كلف حجة الإسلام السيد غلام حسين حسيني أحد علماء حوزة «فيضية» العلمية لرحلة دعوية، وللبحث عن الوضع العقدي لمنطقة من مناطق البلوش، منطقة «رمشك» من توابع محافظة «كرمان».

وكنت شعلة من النشاط أرغب في البحث عن كل شيء، والكشف عن كل مجهول، فرافقت حجة الإسلام الحسيني إلى هناك.

ومنطقة «رمشك» يقطنها السنة، وليس فيها أحد من الشيعة، وفي هذا السفر التقينا بـ شباب من هذه المنطقة بينهم عدد من طُلاب العلوم الدينية من شباب السنة.

طرحنا بعض المسائل العقدية أمامهم وأطلنا الكلام فيها، وتشجع شباب السنة فطرحوا العديد من الأسئلة فحميت الجلسة، واشتد النقاش بيننا، وأصبح اللقاء أشبه بجلسة جدال ومناقشة، وأحسست يومذاك أن نبالنا انتهت وبقينا لا نملك جوابا لتلك الأسئلة الحائرة.

لما عدنا من هذا السفر كنت أشعر في قرارة نفسي بخجل شديد، وشعور عميق بالهزيمة النفسية، فقد أثرت هذه الهزيمة أمام شبان -لم يبلغوا الحلم بعد- في نفسي تأثيرا عميقًا لا أستطيع أن أنساه أبدا.

وفي عام (١٣٦٨ش) (الموافق لـ ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ) التحقت بحوزة «فيضية» العلمية بـ «قم» لإكمال السنة السادسة أول الخارج.

وفي هذه المرحلة من الدراسة - أول الخارج - كنت منكبا على دروس الحوزة والمطالعة والتحقيق، وقد حدثت لي أمور أخرى جديرة بالذكر:

أ) في إحدى المناسبات الخاصة قدم طلاب الحوزة «حوزة فيضية العلمية» مقالا م في وصف المرحوم مصطفى خميني - ابن الإمام الخميني مرشد الثورة الإيرانية - وأنا كذلك قدمت مقالة لعلها حظيت باهتمام أكثر من مسؤولي البرنامج، فعدت مقالة نموذجية، فقدم لي رئيس محافظة «قم» ميدالية ذهبية.

ب) وفي حفل أقيم في مسجد «جمكران» بـ «قم» بمناسبة منتصف شهر شعبان قدمت مقالةً عنوا ا: «الإمام المهدي القائم» وكنت قد أوردت في ايتها هذا الحديث (وأفضل الأعمال: انتظار الفرج)[1]، وقد حظيت باهتمام الحضور وإدارة الحفل، ففي اية الحفل قدم لي حجة الإسلام «توحيدي نيا» خاتمًا وزجاجة عطر كتذكار لتلك المناسبة.

كنت في تلك الفترة مهتما جدا بالدراسة والتحقيق والقراءة وكتابة المقالات، مما جعلني موضع رعاية خاصة واهتمام من الأساتذة والإدارة، ولاسيما أنني استطعت خلال خمس سنوات في

---

(١) الأمالي للطوسي (ص:٤٣٦).

الحوزة العلمية بـ(قم) أن أصل إلى مرحلة «الخارج».. هذه كلها ساعدتني لأكون وجها متميزا بين الطُّلاب وفي ساحة المدرسة، وهذا كله حرضني للمزيد من الدراسة والتحقيق والكتابة، فكنت لا أشبع من قراءة الكتب والمقالات والبحث عن المصادر.

إلى أن حدثت لي حادثة مهمة أخرى وهي:

قدم لي «السيد حسين عباسي» مجموعة من المقالات أعدها علماء السنة في مدينة «جا ـار» من مدن محافظة بلوشستان الإيرانية بعنوان «راز دلبران» أي: (سر العشاق) رسالة من جا ار إلى قم..

كانت هذه المقالات تتحدث عن الأصول العقائدية لأهل السنة والجماعة وعما يعتقدونـه في أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يؤمنون به تجاه صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبعد قراءة هذه ا موعة من المقالات عادت إلي ذاكـرتي مـا دار في سـفري إلى منطقـة «رمشك»، وبما أنني لم أكن أغمض عيوني عما يطرأ لي وعما أقرؤه، فقد أثارت تلك الرسالة عدة أسئلة في نفسي، فشعرت أنني بحاجة ماسة للرجوع إلى منبع علمي غني يستطيع أن يشبع مـي ويجيب عن أسئلتي الحائرة.

قمت بترتيب الأسئلة وفهرستها، وذهبت إلى إدارة حوزة «فيضية العلمية» وطرحت الأسئلة أمام سادة المراجع.

فلم يجب السادة المراجع على أسئلتي، ونصحوني بأن أراجع فيها مكتب السيد آية الله أمـيني نائب إمام الجمعة في قم، وكان من العلماء المشهورين في الفلسفة والمنطق، وكان أستاذًا مشهورا.

وبإشارةٍ ومساعدةٍ من حجة الإسلام «توحيدي نيا» راجعت مكتب السيد آيـة الله أمـيني، وطلبت لقاء السيد، لكن مسؤولي مكتب السيد اعتذروا عن إمكانية اللقاء بسعادته، وذلك لكثرة مشاغله الفكرية والعلمية و.. و.. ولكنني لم أيأس واستطعت أخيرا وبعد ثلاثة أسابيع من متابعـة المكتب والإصرار عليهم أن ألتقي بسعادته، فقدمت له فهرس الأسئلة.

وبعدما أخذ ينظر في الأسئلة بدأت معالم وجهه تتغير شيئًا فشيئًا إلى أن ثار غضبه وبدأ يرتجف من شدة الغضب، ويرمي بالشتائم والكلمات القبيحة المستنكرة على كاتب هذه المقالات، وكل من ساهم في نشر هذه ا موعة وطباعتها.

بقيت حائرا مستغربا أمام ما أراه، فما كنت أتصور أن عالمًا كبيرا بمكانة حضرته وقد ملأ الدنيا صيتا وشهرة في الفلسفة والمنطق أن يثور مثل هذه الثورة الهائجة، وأن يتفوه بمثل تلك العبارات القبيحة والشتائم الغليظة السوقية!

صرخ آية الله أميني في وجهي وقال لي: اذهب واقرأ كتبي ومؤلفاتي، وإذا لم تقتنع فتعال إلى مسجد الأعظم لأجيب على استفساراتك، ويقع مسجد الأعظم في إحدى ميادين حرم السيدة المعصومة.

اغتنمت فرصة أخرى وذهبت برفقة حجة الإسلام (توحيدي نيا) إلى مسجد الأعظم، وكان يعقد آية الله أميني حلقة درسه هناك.

أذن سعادته لي أن أطرح أسئلتي، فطرحت الأسئلة مرة أخرى، فثار السيد آية الله هذه المرة ثورة أشد من سابقتها، وغضب غضبا شديدا في جمع من طلابه، و لم يجب على الأسئلة وإنما بدأ بالهجوم الشرس على مؤلفي هذه المجموعة، وأشبعهم شتما وافتراءً، وقال فيهم كل قبيح كان يمكن أن يخرج من فم إنسان سوقي لا من فم عالم دين.

لم أستطع أن أتمالك نفسي أمام هذا الموقف الشنيع والمهين، فغضبت غضبا شديدا وصرخت في وجه السيد آية الله أميني، وقلت: أستاذ! أحبذ ألا أحضر مجالس الجهال بعد اليوم!!

غضب سماحته من هذا الموقف أشد الغضب، وأمر أن يقطعوا منحتي الدراسية.. كانت الحوزة العلمية في قم تقدم كفالات دراسية بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف تومان شهريا للطُّلاب، وكانت هذه الكفالات تحت إدارة وإشراف من ثلاث شخصيات من المراجع، وكانت كفالتي تحت إدارة آية الله أميني، وآية الله مشكيني، وآية الله وحيد الخراساني.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه المجموعة من المقالات وما حدث لي في الفصل السادس من الدراسات الدينية في حوزة «فيضية العلمية» بقم، الذي كان مصادفًا لإنهاء مرحلة الثانوية من الدراسات العصرية، وقراءاتي المتنوعة في الكتب والمصادر، كلها تعاونت في بث ثورة فكرية واعتقادية في ضميري.

هذه الأمور كلها جعلتني أرى بأن هناك عالمًا آخر غير ما نحن فيه، وأن دائرة العالم الإسلامي أوسع من دائرة «التشيع» الضيقة، ولعل هذه كانت أولى الشرارات الفكرية التي جعلتني أعيد النظر في أصول ما أعتقده من مذهب التشيع.

بداية المرحلة الجامعية

عام ١٣٦٩ش - الموافق لـ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ

دخلت عام (١٣٦٩ش) (الموافق لـ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ) الامتحان العام للالتحاق بالجامعة، واستطعت بعون الله الحصول على درجات جيدة كانت تؤهلني للالتحاق بستة عشر تخصص علمي منها: الطب والبيطرة والصيدلة و...

فرح والدي بهذا الإنجاز ولاسيما والدي، وقد رحب بهذا النجاح واعتبره محور انطلاق إلى أحلامه فيَّ، فأصر على التسجيل في تخصص الطب، وبناءً على رغبته التحقت بكلية الطب من جامعة «شهيد بهشتي» بمدينة طهران في بداية شهر «مهر» عام ١٣٦٩ ش (الموافق لأيلول ١٩٨٨م/ صفر ١٤٠٩هـ).

ولكن.. انشغالي بأمور الجامعة والالتحاق بها وبدء الدراسة فيها جعلني أضطر إلى إيقاف دراسة العلوم الدينية ولو لفترة وجيزة.

كان جو الجامعة عالمًا آخر غير ما كنت اعتدته في «الحوزة»، وتماشيا مع الجو الجديد والبيئة الجديدة خلعت الزي الحوزوي وبدأت أرتدي لباس عامة الناس.

وبعد فترة قصيرة اتصلت لجنة الدعوة الإسلامية في الجامعة بحوزة «فيضية العلمية» بقم، وبما أنني كنت من النشطين والمتفوقين في الحوزة، أُقْتِرح علي أن أنضم إلى اللجنة الدعوية وأصير عضوا فيها.

ما طرأت لي من الأفكار وما حدثت في من التحولات الفكرية والعقدية جعلتني لا أميل إلى الانضمام والمشاركة في تلك الأنشطة، فلم أُبد رغبة في المشاركة في اللجنة الدعوية الجامعية، واعتذرت منهم، لكن إدارة اللجنة لم يعجبها موقفي هذا، وكانت حريصة على انضمامي إليها.

اتصلت بوالدي وصورت له الأمور بطريقة جعلت والدي يرتاح لهم وبدأ يحرضني للانضمام إليهم، فاضطررت للانضمام إليهم مرغما.

أيا كانت الأمور.. انتهى الفصل الدراسي الأول في سكون ودون حدوث أية مشاكل.

بدأ الفصل الثاني من العام الدراسي الأول وكنت قد ألفت جو الجامعة، وتعرفت على مداخل الأمور ومخارجها وعلى الجو المحيط بي..

انضمامي إلى الاتحاد الطلابي، ومن ثم الاحتكاك باللجنة الدعوية الجامعية زادني رسـوخا في البيئة الجامعية والتعرف على الأفكار والنظريات والفلسفات الموجودة في المحيط التعليمي، وأحيانا كان يحدث نوع من الصراعات الفكرية والمناقشات بين أصحاب الرؤى المتباينة، ومن مـوقعي في الاتحاد الطلابي كنت مضطرا للخوض في تلك الميادين.

لا أنكر بأن كثيرا من مواقفي من خلال اللجنة الدعوية مع البيئة الطلابية كانت صدى لسوء الفهم أو بعبارة أخرى لم تكن نتيجة التعقل والتفكير السليم، بل كانت مواقف تصنعها الثـورات العاطفية والإحساسات الفردية، ولم تكن تتجاوز رؤيتها المطالب الآنية للطلاب فحسب.

هذه المواقف جعلتني موضع اهتمام الطلاب واحترامهم، كما جعلتني في موقف حرج مع إدارة الجامعة والمسؤولين عليها، لكنني كنت سعيدا بما أقوم به، إذ كان همي الوحيد الاهتمام بمـشاكل الطلاب والسعي للحصول على ما يريدونه، دون مصالح الجامعة أو مشاكل الإدراة أو...

ولعل هذه المواقف الشديدة وهذا التعنت والإصرار على مطالب الطُلاب جعلـتني شخـصية محبوبة في الوسط الطلابي.

كانت رؤيتي - ولعلها رؤية الآخرين كذلك - إلى الجامعة أ ا مكان أُعِد للتربيـة العلميـة والتربوية في نفس الوقت، ويجب عليها أن يئ الجو العام لبزوغ المواهب، وظهور الابتكـارات الفردية والاختراعات، وبالتالي يتطور ا تمع.

لابد للإدارة أن تراعي الجوانب الفطرية لطلاب الجامعة الذين يتمتعون بالقـدرات الفطريـة والغريزية الحادة في هذه الأعمار، فإن تجاهل هذا الجانب الفطري أو قلة الاهتمام به قد يؤدي إلى مزالق خطيرة وإلى الفساد الاجتماعي والأخلاقي.

وقد كان ظِلال هذا الاتجاه الفاسد مهيمنا على البيئة الطلابية بشكل واضح، فجعل من الجـو الدراسي جوا مسموما صالحًا لظهور أية بوادر تؤدي إلى ألوان من الفساد الاجتماعي والأخلاقي.

ومن موقعي في الاتحاد الطلابي واتصالي المباشر باللجنة الدعوية الجامعية، وشـعوري بعظـم المسؤولية الملقاة على عاتقي ناقشت مسؤول اللجنة الدعوية في الجامعة «سيد محمد رضا حسيني»

فيما يحدث في ا تمع الطلابي، ولعل مواقفي لم تكن تعجب اللجنة، أو أ ا كانت رؤى سـطحية ضعيفة، مما جعلت اللجنة لا تعجب بمواقفي، وكان بيني وبين السيد حسيني هذا عدة مشاجرات ومواقف، منها:

أ) قبض الشرطة على طالبة من طالبات الجامعة، كانت لها صلات غرامية غير أخلاقيـة مـع مجموعة من الشباب في خارج البيئة الجامعية، وفي التحقيق اعترفت الطالبة أ ا تدرس في جامعتنا، فمن ثم كان ولابد أن تتدخل الجامعة في الأمر.

حولت المسألة إلى اللجنة الدعوية التي حققت بدورها مع الطالبة، وفيما يبـدو أن الطالبـة استطاعت أن تبرر موقفها، وبالتالي حلت المشكلة وتم الإفراج عنها.

وقد شاع بين الطلاب بأنه كان لرئيس اللجنة الجامعية الـسيد الحـسيني صـلات غراميـة وصولات وجولات مع هذه الطالبة، مما جعل اللجنة تتستر عليها وتفرج عنها.

ب) وفي إحدى المرات تم القبض على طالب وطالبة بتهمة الفساد الأخلاقـي، والـصلات الغرامية في البيئة الجامعية، وحولت المسألة إلى اللجنة الدعوية التي حققت بدورها معهما، فنفـى الطالب والطالبة أية صلات غير مشروعة فيما بينهما، وقالا: بأ ما يفكـران في الـزواج مـن بعضهما، ولم تتجاوز علاقتهما صلة الحب العذري البريء.

لكن اللجنة الدعوية لم تقتنع بكلامهما وأبت إلا وأن ترسل الطالبة إلى الجهة الطبية للتأكد!

وخرج التقرير الطبي يصدق كلامهما!

ورأيت - بأم عيني - الطالبة وهي تصرخ باكية في وجه مسؤولي الجامعة واللجنـة الدعويـة وتقول: أخجلتمونا أمام الناس وأهنتمونا على الملأ، ألا تخافون الله؟! أليس لكم شيء من الحيـاء والغيرة؟!

وفي اية الأمر لم تؤثر كل هذه الأمور في قرار اللجنة، وتم فصل الطالبة والطالب من الجامعة.

أظهر طلاب الجامعة سخطهم واعتراضا م على هذا القرار الظالم، وأحدثوا بلبلـة في الجـو الجامعي، مما جعلت إدارة الجامعة تقيم جلسة توضيحية لتخفف عن مشاعر الطلاب، وقمـت في هذه الجلسة ودافعت عن حقوق الطُّلاب بشكل قوي.

بعد هذا الموقف استدعيت إلى المخابرات وأجبرت على التوقيع على وثيقة الندامة، وعلى أنني لن أقوم بمثل هذه الحركات، وأن أُعلن في الجلسة القادمة أمام الطُّلاب بأنني أخطأت وأن موقف الإدارة كان صحيحا.

ثم رتبت الجامعة جلسة أخرى، وقمت أمام الطلاب في حالة خجلة منكسرة، وما إن نطقت ببعض الجمل المكسورة، وإذا بطالب يقوم ثائرا هائجا يصرخ في وجهي بكل غضب: السيد رادمهر! كم دفعوا لك؟ ماذا دهاك يا رجل؟ لم تمر بضعة أيام وقد تغيرت تماما؟

وكنت أرى الغضب والكره في عيون الطُّلاب، وتغيرت نظرتهم تجاهي تماما.

فبعد أن كانوا يرون في مناضلًا يدافع عن حقوقهم إذا بهم ينظرون إلي شزرا ويرمونني بسخطهم وكرههم الصامت، وكأنني عدوهم الشرس.

انتهى العام الدراسي الأول وكانت تلك المواقف وما حدث فيها من القبض والسجن والتعذيب مقدمة للمشاكل والمصائب التي واجهتها فيما بعد وإلى يومي هذا..

أكملت الفصل الثاني من العام الدراسي الأول في كلية الطب على نفس النمط.. عدة مشاجرات كلامية ومواقف مع اللجنة الدعوية - من موقف الشعور بالمسؤولية - ومواقف وصراعات كلامية مع السيد «كاشاني» وفشل إحدى الجلسات التوضيحية، وما حدثت بعد ذلك من غضب الوالد علي، ورفع قضيتي إلى المخابرات والتوقيع على وثيقة الندامة، والرجوع إلى حوزة «فيضية العلمية» بقم، وما حدث في مدينة قم..

كل هذه المواقف جعلتني أشعر بالخجل والضياع وأن شخصيتي في الجامعة أصبحت شخصية غير مرغوب فيها.

لم أعد أطيق الجو الجامعي والاستمرار في الدراسة، ولهذا لم أسجل في الفصل الصيفي.

لم أكن أرغب كذلك في إكمال الدراسات الدينية في الحوزة، لكنني كنت أشعر أن الجو الحوزوي يتلاءم مع حالتي النفسية أكثر من الجو الجامعي، وأن ذهابي إلى هناك قد يخفف من ضغوطي النفسية، ولهذا ذهبت إلى حوزة «فيضية العلمية» بقم، وبدأت أكمل دراستي التي توقفت في الفترة الماضية في فصل «الخارج»، فقد كنت أشعر بأن بقائي في الحوزة أفضل لي من الرجوع إلى الجامعة.

وبعد فترة وجيزة من بقائي في الحوزة لبست العمامة، وقررت أن أُكمل الدراسات الدينية إلى مراحلها الأخيرة، لكن والدي حضر إلى قم وأصر على رجوعي إلى طهران لإكمال الدراسـة في كلية الطب.

لم أستطع المقاومة أمام والدي فاضطررت أن أبدأ الفصل الأول من السنة الثانيـة في شـهر «مهر» (١٣٧٠ش) (الموافق لأيلول١٩٨٩م/ صفر١٤١٠هـ)، لكن هذه المرة لم أكـن ذلـك الطالب النشيط الطموح الذي كنت يوم أن قدمت إلى الجامعة لأول مرة، وإنما كنت أشعر بـأني إنسان ضعيف حقير لا هدف له من الدراسة ولا يشعر بقيمة لحياته.

في الفصل الثاني كنت ألبس جلباب العلماء والعمامة - الزي الحوزوي - في الجامعة، وكنت أشعر بالوحدة في ا تمع الطلابي، وكأن الطلاب قد نبذوني بعيدا عنهم ولا يريدون الاحتكاك بي والتعامل معي.

كنت أقرأ الكره والغضب في عيون زملائي وأشعر بأن وجـودي في جلـسا م ولقـاءا م يضايقهم، لكن لم يكن أمامي إلا أن أتعايش مع الوضع الجديد وأتحمل كل ذلك.

في هذا الفصل الدراسي كنت أشارك في برامج الاتحاد الطلابي والنشاطات الدينية، وحـتى في غياب إمام مسجد الجامعة كنت أؤم الناس، وكنت أشعر بكل ما يـدور في عيـون الطـلاب وصدورهم من كرههم الشديد وغضبهم علي، وفي المقابل كنت أشعر بأنني على قدر ما سقطت في عيون الطلاب ارتفعت في عيون إدارة الجامعة واللجنة الدعوية.

وكان أبي كل ما يجد فرصة يسمعني بأنه فخور بي ويعتز بولد مثلي.

كنت أشعر تماما بأن ما يقوله الوالد ليس إلا مجاملات يحاول ا رفع معنوياتي المنهارة، وعلاج ما أعانيه من التدهورات الروحية، ومن التناقضات الفكرية والعاطفية.

كنت مع كل ما أعانيه من التباين والتضاد أحاول ألا أُبدي شيئًا منها، وأظهـر في ا تمـع وكأن الأمور تجري على ما يرام.

أذكر جيدا يوم أن كنت أُكلف من قبل الاتحاد الطلابي بالإشراف على السكنات الطلابيـة، ولاسيما مهجع الطالبات، وكنت أذهب إلى المهاجع الطلابية أرى الطالبات ينظرن إلي وكـأنني رجل مخابرات أو من حزب الله، ومن أصحاب الثورة المنبوذين، أو من الأصـوليين المتـشددين،

وأ ن كن يتضايقن بوجودي بينهن، وكنت أرى الغضب والكره يصرخ من نظرا ن.

كانت عجلة الزمان تدور بسرعة شديدة حينا وببطء قاتل أحيانا.

انتهى الفصل الدراسي الثاني، وكان يحمل في أحشائه وقائع كثيرة وخواطر مؤلمة وذكريـات مريرة من أبرزها:

أولًا: خرجت برفقة «علي رضا محمدي رحمه الله» من زملائي في الحوزة في قـم، وطالـب بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة طهران، و«أبي طالب صالحي» من زملاء صديقي محمدي في كلية العلوم الاجتماعية، خرجنا من «تجريش» إلى جنوب طهران - ساحة توبخانه - للتجول وقـضاء بعض الوقت، وفي ساحة توبخانة أردت أن أتصل بأسرتي فدخلنا مركزا للهواتف، وبعد دخولنـا مركز الاتصالات جلسنا في صالة الانتظار ننتظر دورنا للاتصال.

كان هناك رجل يلبس الزي البلوشي، وكان يرى على سماته أنه من علماء أهل السنة، وكان يجلس بجواره عدد من الشباب، ولعلهم كانوا ينتظرون دورهم للاتصال.

بعد فترة وجيزة رأيت أحد هؤلاء الشباب التفت إلى العالم البلوشي وسأله بشيء من التعنت: هل حضرتك سني أم شيعي؟

رد العالم السني: أعوذ بالله أن أكون شيعيا.

فقال الشاب مستغربا: ولم؟ وما عيب الشيعة؟

رد الرجل السني: بالله عليك، قل لي ما هي العيوب التي يمكن أن تكون في إنسان وليست في الشيعة؟

بدأ النقاش يشتد بين الفريقين، وأخذنا ننظر إليهم من بعيد.

قال الشاب للعالم السني: عيبكم أنتم «عمر» لا غير، عمر الذي أحل الحرام وحرم الحلال.

سأله العالم السني: قل بالله عليك: ما هو الحلال الذي حرمه عمر، وما هو الحرام الذي أحله عمر؟

رد الشاب: كانت المتعة حلالًا فحرمها عمر[1].

سأله العالم: أريد أن أسألك، هل في رأيك أن المتعة شيء جيد مبارك؟

قال الشاب: نعم، وألف نعم.

رد عليه الرجل السني: إذا كانت المتعة حلالًا وأمرا مباركًا كما تفضلت، فها أنا أخوك المسلم، وأنا منذ زمن بعيد عن أهلي وأسرتي وأشعر بحاجة شديدة إلى المتعة، فهل تتكرم وتقدم مشكورا أختك إليّ، ولك في ذلك الأجر والمثوبة التي تتصورها.

ثار الشاب على هذا الجواب، وقام هو وأصحابه وبدؤوا يضربون العالم السني ورموه خارج صالة الانتظار.

خرجت أنا وصاحبي من الصالة وأخذنا الشيخ السني بسيارتنا إلى مطعم «خسام»، ودعوناه لتناول شيء خفيف معنا، وعلى مائدة الأكل بدأ أصحابي يناقشون الشيخ السني فيما حدث بكل احترام وأدب.

ووصل م الكلام إلى مناقب الخلفاء وفضائلهم، وأن عليا هو أفضلهم على الإطلاق، فقال أصحابي: إن فضل علي عليه السلام على سائر الصحابة يرجع إلى أن عليا عليه السلام كان رجلًا متعلما ومثقفًا، وقد ألف كتابا في حين أن سائر الخلفاء كانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة.

فقال الشيخ السني: يا ناس! إننا نقول بأن عليا كان من كُتاب الوحي، وإذا كنتم ترون هذا رأس مناقبه فلا تنسوا بأن معاوية كذلك كان من كتاب الوحي، وكان مثقفًا جدا.

---

(١) الحق أن عمر ليس هو الذي ى عن المتعة بل الذي ى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (حرم رسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة). [الاستبصار للطوسي (١٤٣/٣)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١٢/٢١)].

وكذلك الأئمة عليهم السلام وا عنها فعن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المتعة فقال: (لا تدنس نفسك ا) [مستدرك الوسائل (٤٥٥/١٤)]. وعن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في المتعة: (دعوها، أما يستحي أحدكم أن يرى في موضع العورة فيحمل ذلك على صالحي إخوانه وأصحابه) [الكافي (٤٥٣/٥)، وسائل الشيعة (٢٢/٢١)] وعن محمد بن شمعون قال: (كتب أبو الحسن إلى بعض مواليه: لا تحلوا المتعة، إنما عليكم إقامة السنة فلا تشغلوا ا عن فرشكم وحرائركم فيكفرن ويتبرين ويدعين على الأمر بذلك ويلعنونا). [الكافي (٤٥٣/٥)]. وقد صرح آية الله هاشمي رفسنجاني لة الشراع في عددها (٦٨٤) في الصفحة الرابعة أنه يوجد في إيران ربع مليون لقيط بسبب زواج المتعة.

وأن أبا علي - أبو طالب - لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وإنما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عليا بأن يتعلم القراءة والكتابة.

وفي موضوع تأليف أمير المؤمنين علي عليه السلام للكتاب الذي أشارا إليه، قال الشيخ السني: هذا الكتاب - ج البلاغة - الذي تنسبونه إلى سيدنا علي، ليس من مؤلفات سيدنا علي وإنما هذا الكتاب وضعه «الشيخ الرضي» اللعين، جمع فيه عدة آلاف من الأحاديث الكاذبة ونسبها إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

توقف بنا النقاش، ولم نكن على استعداد لمناقشته والجدال معه فتركناه ورجعنا إلى الجامعة.

لكن موقف الرجل مع هؤلاء الشباب ونقاشه البسيط معهم في قضية المتعة هز ضميري، وجعلني أُفكر وأُعيد النظر في قضية المتعة.

ثانيا: قدرا التقيت في الباص بالسيد «غلام رضا كاردان»، المشهور بحفظه للقرآن كله في إحدى أسفاري من طهران إلى قم.

ويعد السيد «كاردان» من أبرز الوجوه في وضع الخطط والبرامج لتقريب المذاهب الإسلامية، ومن أبرز المفكرين في برنامج الوحدة بين الشيعة والسنة.

وكانت تجلس قريبا إلى كرسي السيد كاردان امرأة زينت نفسها بمساحيق غليظة، وكانت - تبدو - جميلة.

خلال السفر شعرت بأن السيد كاردان بدأ يقترب من تلك المرأة، وفتح باب الكلام والصداقة معها، وإن كنت لا أسمع كلامهما، لكن عندما وصلنا إلى قم ونزلنا من الباص رأيت السيد كاردان وضع ورقة صغيرة في يد تلك المرأة.

بعد ثلاثة أيام زرت السيد كاردان في بيته لعمل كان لي معه ولاستعارة كتاب منه، فرأيت تلك المرأة بلباس البيت في بيت السيد كاردان، وكنت أعرف أن أسرة السيد كاردان ليست في البيت.

تعجبت من هذا الموقف، ولم أكن أريد أن آخذ من وقت السيد أو أُزعجه كثيرا، لكن لما رأيت هذا الموقف أخذني فضولي لمعرفة الحكاية.

شعر السيد «كاردان» بحرج شديد من وجودي، وكان يبدو مضطربا، وقال: بأنـه كـان مشغولًا في كتابة موضوع ما، وانقطعت حبال أفكاره مع حضوري، وأشعرني بأنه يريد أن أخرج بسرعة ليتفرغ لواجباته.

لكنني تمهلت وأشعرته بأنني مصر على معرفة سبب وجود تلك المرأة في بيته، ويبدو أنه شـعر بأنني أرغب في معرفة الحكاية، فقال: هذه المرأة أصبحت حلالًا لي، فقد أخذ ا بالمتعة.

وبدأ يشرح لي معنى المتعة وأراد أن يبرهن لي صحة عمله، وأنه أمر مـشروع في الإسـلام لا غبار عليه، واستشهد لكلامه ببحث للمرحوم آية الله طالقاني، وآية الله هاشمي رفسنجاني، وأكـد لي بأن المتعة لا تعارض الشريعة فحسب، بل عمل مشروع يجلب المثوبة والأجر في الدار الآخرة، ونصحني ألا أحرم نفسي هذا الأجر العظيم إن كنت أشعر بالحاجة إليه.

ثم دخل في شرح فلسفة المتعة وتفسيرها، واعتبرها حلًا لكثير من مشاكل ا تمـع، وسـبيل القضاء على الفساد الأخلاقي والهرج في ا تمعات الإسلامية.

بعد هذا التمنطق والتفلسف الذي أبداه لم أجد أمامي إلا أن أتركه وشأنه وأنصرف راشدا.

ثالثًا: أراد صاحباي «علي رضا» و«سيد أبو طالب صالحي» مـن طـلاب كليـة العلـوم الاجتماعية أن يسجلا تقريرا ميدانيا - كبحث منهجي علمي - عن بعـض حـالات ا تمـع، وحصلا على إذن رسمي من جميع الجهات القانونية لعمل لقاءات مع الناس وتصويرهم.

وكانا قد قررا أن يذهبا إلى الحدائق العامة، وإلى الأحياء المـشهورة بالفـساد والتجـاوزات اللاأخلاقية، فأعجبني موضوع بحثهما واستأذنتهما في المرافقة.

ما إن استقر بنا الأمر في حديقة أكباتان (المشهورة بحديقة الطالب)، وبدأنا نركـز أجهـزة التصوير على المناظر الجميلة، فإذا بأحد الرفقاء دعا امرأة عجوزا كانت تمر من هناك، وقال لهـا: عفوا سيدتي! نريد أن نسجل تقريرا عن بعض قضايا ا تمع، فهل تسمحي لنا، نريد أن نتـشرف بالسؤال عنك.

كانت المرأة مضطربة وحزينة، فثارت في وجوهنا وصرخت: تعالوا صوروا قلبي، حتى تعرفوا لماذا تنجر بنات الناس إلى الفساد رد لقمة أو لقمتين تشبع ا نفسها، أصبحت الفتاة تبيع نفسها وعرضها باسم المتعة لتملأ بطنها!

صورت تلك المرأة العجوز بكل بساطتها وسلامة فطر ا المتعة وما تنتجه من المشاكل بصورة تجرح كل قلب ينبض صلاحا، وكل ضمير حي ما زال فيه شيء من آثار الفطرة.

رابعا: في المرحلة الثانية سألنا امرأة شابة عن معنى العشق؟ فقالت: العشق يعني: الخبز. العشق يعني: الماء. العشق يعني: البحث عن حياة كريمة. العشق يعني: ملء البطون الخاوية. ثم بدأت تبكي وتقول: وصل الأمر إلى فتياتنا أ ن يبعن أعراضهن باسم المتعة، للحصول على قطعة خبز يملأن ا بطو ن.

وبدأت تصف المتعة وصفًا تقشعر منه الجلود وتنخلع منه القلوب التي في الصدور، ثم قالـت: والسادة الذين يقضون حوائجهم ويشبعون شهوا م بالمتعة يرفـضون الأولاد الـذين قـذفوهم بشهو م في بطون تلك النساء، فلا يسجلون الأولاد بأسمائهم، وتبقى الفتاة الضائعة التي باعـت نفسها بثمن بخس دراهم معدودة، تجر وراءها مشاكل رعاية طفل ضائع بريء.

وقد كان وصفها للمتعة وكرهها لها وصفًا بديعا لا يمكنني تعبيره بالقلم.

خامسا: سألنا امرأةً أخرى عن العشق: ما هو العشق؟ فأجابت: لا يعني العـشق اليـوم إلا الجريمة والزنا والمتعة ثم الفراق.

مع أن هذا التقرير الميداني قام به طالبان من الجامعة وسلماه إلى القسم الخاص، فلم ينشر لما فيه من الكشف عن سوءة آراء فقهية ضالة تحكم باسم الدين، والدين منها بريء؛ ولمـا فيـه مـن الكشف عن أسرار ا تمع المكشوفة التي يراها ويعرفها الجميع لكنهم لا يتجرؤون على كـشفها وإبرازها.

كنت يوما في درس مادة «المعارف الإسلامية» - الدينيات - للأستاذ محمديان، وكـان في الفصل عدد من طُلاب السنة، يبدو أ م حضروا ضيوفًا على الجامعة، كان أحدهم يلبس زيا كرديا والآخرون فيما يبدو كانوا من السنة التركمان.

فجأة طرحت قضية المذاهب وانجر الكلام إلى الخلافات المذهبية.

أذكر أن السيد محمديان في حديثه عن موضوع ما شبه الخلفاء الثلاثة (أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم) ببقرة حلوبة أراقت حليبها على الأرض بعد ما استحلبها صاحبها.

وكان أثر هذا التمثيل على الطلاب الضيوف من السنة سيئًا للغاية إلى درجـة أن الطالـب الكردي غضب غضبا شديدا وترك المحاضرة ولم يرجع.

كل هذه الوقائع التي حصلت خلال الفصل الثاني من العام الدراسي الثاني شغلتني عن الدراسة الجادة، فكنت لا أرغب كثيرا في المواد العلمية، ولا أهتم ا كما ينبغي، كما كنت أشعر بملـل شديد وتعب روحي.

زد على ذلك أن هذه الأحداث جعلتني أكره المتعة وأشعر بالقشعريرة والكره الشديد من مجرد وصفها أو الحديث عنها.

وهكذا انتهى العام الدراسي الثاني..

وكانت بداية السنة الثالثة في الجامعة مع اية الفصل الأول من مقطع «الخارج» من الدراسة الدينية في الحوزة، لكن بما أن الدروس الجامعية في هذه السنة كانت دروسا عمليـة تـستوجب الحضور في المستشفى اضطررت إلى إيقاف دراستي في الحوزة إلى إشعار آخر.

وفي هذه السنة طرحت أسرتي قضية زواجي، وأنني يجب أن أفكر في نفسي وفي مستقبلي.

عائلة الوالد والجد والجدة كانوا جميعا مصرين على زواجي من ابنة عمتي، وكانت زميلتي في الدراسة في كلية الطب، وكنت أعرفها وتعرفني جيدا، وكنت أشعر بأن التعايش معها ضرب من المستحيل؛ وذلك لأن رؤيتها للواقع والحياة كانت غير رؤيتي للمجتمع وللناس وللحياة.

لكن.. لم يسمع أحد كلامنا، ورغما عن أنوفنا بتدخل من الأسرة تم هذا الزواج، وقـررت الأسرة أن نذهب إلى أمريكا لإكمال الدراسة والحصول على التخصص..

كنت أشعر بأن دخولي في الجامعة وحضوري في ا تمع الجامعي في هذه السنة كان أسـهل بكثير مما كان في العام الماضي، وكنت أشعر بأن تلك المصائب والمشاكل التي كنت أعيـشها في العام المنصرم قد ذهب أوا ا.

كان الجو في الجامعة لا يمكن أن يخلو من بعض المصادمات الفكرية وبعض الجدل والنقـاش العقيم؛ وذلك لأن الجامعة تعتبر ملتقى الأفكار المختلفة والتصورات المتباينة، ومن هنا فلا يمكـن فصل الجامعة عن بعض التطورات وبعض الأمور المهمة، ولعله يجدر بي أن أشير إلى أمرين:

الأول: كنت منكبا على دروسي في الجامعة ومشغولًا بشؤوني الخاصة وبدراستي، وإذا بالحوزة العلمية في قم تستدعيني للحضور إلى قم عاجلًا.

كانوا قد أعدوا بحث ومناقشة ومدارسة في الأصول والمبادئ العقدية بين المـذهب الـشيعي والمذاهب السنية الأربعة، فاستدعيت لكي أكون عضوا في الفريق الشيعي الذي ينـاقش هـؤلاء السنة.

يبدو بأن إدارة الحوزة في قم اختارت مجموعة من طُلا ا السابقين المتفوقين ممن اشتهروا بالعلم والاعتزاز بالمذهب، والقدرة على النقاش والمناظرة والجدل.

ومن هنا جاء اختياري لأكون مع الفريق الذي أُعِد لهذا البرنامج المعد له مسبقًا.

دخلت حلبة المناقشة والبحث برفقة رفقائي من علماء الشيعة مع مجموعة من علمـاء الـسنة أحضروا من منطقة «تركمان صحراء» الإيرانية.

وكان الهدف من هذا البرنامج أن نعد مجموعة من الأفلام عن هذا اللقاء وننشرها بين النـاس ليعرفوا ضعف المذهب السني وتفاهته، ويدركوا بأن المذهب الشيعي هو المذهب الحق الـذي لا مرية فيه!!

بدأت المناظرة بيننا وطرحنا أسئلتنا وشبهاتنا.. لم تستمر جلسة المناظرة الصورية بضع ساعات وإذا بنا - نحن - نخرج منتصرين كالأسود التي انقضت على فريستها في طرفة عين، وكأن علماء السنة بقوا منبهرين أمام علمنا وشبهاتنا، وكأ م لم يجدوا جوابا يردوا به على ما طرحنـاه مـن الشبهات والتساؤلات، وبقوا متحيرين وخرجنا وكأننا أفحمناهم.

انتهت المناظرة وملأت أخبارها وتفاصيلها الجرائد، التي ظلت لبضعة أيام تف لنا بالحيـاة، وتشيع في العالم خبر انتصارنا على علماء السنة، وتزين صفحا ا بصور ملونةً لي كأبرز المناظرين!!

ساندت جهات عديدة في تضخيم هذه المناظرة وإبرازها في صورة تليق بالنصر الحاسم الذي حصل عليه المذهب الشيعي، وكأن ثورة وقعت فارتفعت فيها رؤوس كان ينبغي أن ترفـع قبـل آلاف السنين، وانخفضت رؤوس كان ينبغي لها أن تذل قبل آلاف السنين!!

وكان لهذه المناظرة أصداؤها الإيجابية جدا بين طلبة العلم في الحوزة، وكأن روحـا جديـدة

نفثت في أجسامهم، وكأ م وهبوا حياة وعادوا إلى وجه الأرض بعدما كاد التراب يواريهم، ففي كل مكان وفي كل جلسة كانت ضحكات الانتصار ترتفع، والعجب يملأ الأجواف والقلوب.

لكنني لم أكن أرى في هذا النصر فخرا ولا عزا؛ لأنني كنت أؤمن بأن جلسة صورية مثل هذه لا تستطيع أن تقضي على مفاهيم ومبادئ أكلت عليها الدهور والأزمان، وأن هذا التفوق الـذي جنيناه لا يعد تفوقًا علميا كما صورته الجرائد وا لات والمحافل وا الس المختلفة..

لم أكن سعيدا على نجاحنا؛ وذلك لأنني كنت أعرف مستواي العلمي أكثر من الآخرين.

كنت أؤمن أن مِثلي لا يستطيع أن يقلع شجرة أثمرت أفكارا ومفاهيم طوال أربعة عشر قرنا من الزمان في مناظرة صورية مثل هذه.

كنت أشعر أن طالبا شيعيا بسيطًا مثلي لا يستطيع أبدا أن يفحم علماء السنة ذه الـسهولة، وكنت أرى في عيون هؤلاء العلماء أ م يملكون أجوبة وأن في رؤوسهم الشيء الكثير لكنـهم لا يبدونه.

ولعل رفقائي - كذلك - كانوا يدركون مثلي تماما، أن سكوت علماء السنة كان راجعا إلى أمرين لم يرد أحد من أصحاب الضجيج الإعلامي أن يشير إليهما:

أولهما: أن الجو بالنسبة لهم لم يكن مساعدا، فهم كانوا كالصيد في شبكة الصياد، أُحـضروا من مناطقهم البعيدة إلى قم في وسط جو شيعي يهتف فيه كل شيء للخصم المناظر، ثم إ م شعروا بالكاميرات وعدسات التصوير التي تصور وتسجل كل كلمة يتفوهون ا، فلم يكونوا يرغبون أن يدخلوا في النقاش وأن يجادلونا فيما نقول، ولم يكونـوا يتطرقـون إلى المـسائل الاعتقاديـة إلا مكرهين.

ثانيهما: أ م لم يكونوا على استعداد للبرنامج، ويبدو أ م أُرغموا فيها دون أن يعرفوا عـن الموضوع وعن السبب الذي من أجله أُحضروا إلى قم، فلما وجدوا أنفسهم في ساحة مناظرة أخذ الخصم فيها عدته كاملة حاولوا ألا تخرج من أفواههم كلمة قد يعاتبون عليها.

فما كانت تقوله الجرائد وا الس، وما كنا نزعمه من إفحامهم وانتصارنا عليهم كانت مجرد حركة دعائية ليس لها من الواقع شيء.

فهم كانوا يفضلون الصمت خوفًا على أنفسهم، تماما كالفريسة بين مخالب العقـاب، فأيـة حركة منهم قد تؤدي ا إلى التهلكة والسقوط في الشعاب الموحشة.

كنت أرى في قرارة نفسي أن هذه الجلسة أو المناظرة وما تبعها من التضخيم الإعلامي والنفخ فيها في قم لم يكن رد إبراز العضلات، وإنما كان برنامجا دعائيا إعلاميا يستغل جميـع الأدوات الدعائية والفنية في صناعة بانوراما إعلامي ضخم ينتصر للمذهب الشيعي، ويحرض الناس علـى اعتناقه.

ولو كان الهدف من مثل هذه المناظرة دراسة علمية لبيان وجه الحق في المسائل المختلف فيهـا لكان ينبغي أن يدعى لها مجموعةً من كبار العلماء وسادة الفكر الإسلامي والفقهـاء والفلاسـفة وأهل المنطق والاستدلال العقلي لا بعض الطلبة أمثالي ممن لا يعرف شيئًا عن الأصول والمبـادئ الاعتقادية لدى السنة!

الثاني: الدعاية والتضخيم الإعلامي الذي تبع هذه المناظرة قدمني للمجتمع كوجه علمي بارز، وجعل الناس يدندنون باسمي وبكلماتي.

فأعدت الجامعة برنامجا آخر وطلبوا مني أن أحاضر فيها عن المسائل الأخلاقيـة، ولم يحـددوا موضوع البحث أو المحاضرة، فقط قالوا: تحدث بشكل عام عن نتائج فقدان الحس الديني أو بعبارة أخرى عن طرق اجتناب الذنوب والمعاصي.

بدأت المحاضرة بعد أن جمعت شتات أفكاري، وكان فيها تلك التجارب المريرة الـتي مـرت علي في اية السنة الدراسية الثانية، ولاسيما ذلك التقرير الذي أعده زملائي عن المتعة، وذلـك الحوار الذي تم مع السيدات الثلاث في حديقة (اكباتان) - وقد أشرت إليها سابقًا - فتحـدثت عن المتعة والآثار التي تسببها وتبعا ا على ا تمع.

كنت أعرف جيدا أن محاضرتي طعن في الرؤية الشيعية للمتعة، وأ ا ستضع علامات استفهام بارزة على المذهب - على الأقل من هذا الجانب - لكنني لم أجد بدا من أن أصرح بكل تلـك الخواطر المؤلمة.

كانت القاعة مكتظة بالشباب الجامعيين والمثقفين والأساتذة، ومن بينهم الـسيد الـدكتور حكاكيان - وقد سبق أن تحدثت عنه بالتفصيل - الذي أبى إلا أن يبث سمه، فقـال في جلـسة

حضرها عدد كبير من الأساتذة: بأن محاضرنا هذا ينتمي إلى أسرة متغربة تعتز بالثقافة الأوربيـة، وما كان ينبغي أن نسمح له أن يتجرأ بالطعن في المتعة وهي من مسلمات المذهب الـشيعي، ولا ينبغي لنا أن ننتظر من مثل هذا الشخص مواقف أفضل من هذا، فالمنبت السوء لا يخـرج نباتـا حسنا، وما في النار للظمآن من ماء.

كنت أشعر جيدا بأنه يحاول الطعن في سمعة عائلتي والانتقاص من أسرتي.

تضايقت جدا من موقف الدكتور حكاكيان هذا، وكنت أحاول أن أجد سبيلًا لأنتقم منـه، فسافرت إلى قم وطرحت مشكلتي على السيد «آية الله وحيد الخراساني» أستاذي وصاحب سري ورجوته أن يساعدني في حل هذه المشكلة العويصة في الانتقام من هذا الرجل المزعج.

فأشار علي السيد آية الله وحيد الخراساني أن أبحث عن أية نقطة ضعف أو حركـة مرمـوزة للدكتور حكاكيان لنتصرف من خلالها، فبدأت في البحث عن شيء يمكن أن أزود بـه آيـة الله الخراساني.

قدرا حصلت على شريط يتحدث فيه الدكتور حكاكيان مع رجل آخر، فيه شيء من الطعن على قيادات الثورة والمرشد العام للثورة الإيرانية، فرفعت الشريط مباشرة إلى آية الله الخراسـاني، وشفى هذا الشريط غليل صدري قليلًا، إذ سبب مشاكل كثيرة لحكاكيان وظل في السجن لمـدة ما.

وهكذا انتهى العام الدراسي الثالث في الجامعة بعد تلك الأمور والخواطر التي سببت لي بعض المشاكل وبعض التحولات النفسية والعاطفية.

كانت لهذه التجارب الأخيرة دورها البارز في صناعة شخصيتي، فقد تعلمت منها كيف ينبغي أن أواجه المشاكل، وكيف يجب أن أتحرك في ظروف الحياة المختلفة، وكيف أستطيع أن أتعـايش مع مشاكل الجامعة ومسائلها، أو بعبارة أخرى: لم أعد ذلك الشاب المغرور والعاطفي والثوري، بل أصبحت رجلا محايدا ناضجا، ومنطقيا يحتاط في كل شيء، ويضع لكل شيء حسابه.

في هذه الفترة حدثت لي حادثتان كان لهما دور إيجابي في مسيرة حياتي وفي بناء شخصيتي وفي البحث عن وجه الصواب في أفكاري واعتقاداتي، فأصبحتا نبراسـين في طريقـي نحـو الهدايـة والوصول إلى شاطئ السعادة، وترك ما كنت أؤمن به من العقائد الباطلة.

السفر إلى كنكان من محافظة بوشهر

كنا نستقبل الأيام التي ترمز إلى حادثة تاريخية مهمة جدا لدى الشيعة وحدهم، وهي الأيام الموافقة لشهادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه وسلم حسب ما تعتقده الشيعة.

كانت الأقمشة السوداء تغطي أبواب المساجد وجدرانها رمزا للحداد والحزن، امتلأت الشوارع والجدران باللافتات، إما كتبت عليها جملات دعائية تلعن قتلة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن ظلمها، أو عبارات تذكارية تشير إلى هذه الحادثة المؤلمة وتسلّي الأمة المسلمة وتعزيها فيما أصابها.

كنت أسمع بعض العلماء على المنابر يصرخون بأننا «نؤمن بوحدة الأمة» ونسعى إليها، وكنت أشم رائحة النفاق والتناقض في كل مكان.

خططت الحوزة العلمية بقم لبرامج تعزية وتسلية وقراءة للأذكار وللأناشيد الدينية (الروضة) لمناطق مختلفة من مناطق السنة، وكان منها برنامج أعد لمنطقة كنكان[1] من محافظة «بوشهر» من مناطق أهل السنة، وعينت أنا والسيد حجة الإسلام والمسلمين «محمد حسين فاطمي» لإجراء هذا البرنامج.

وكنا نعقد في كل ليلة جلسة نتحدث فيها عن حقد الحاقدين، وظلم الجبابرة الذين أبوا إلا أن يلطخوا التاريخ بجريمتهم في استشهاد بنت الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

كنا نحاول أن نكشف الستر عن وجوه تلك العصابة المجرمة التي ارتكبت هذه الجريمة.. وبما أن المنطقة في الأصل منطقة سنية أحدثت محاضراتنا ضجة صامتة في المدينة وعكرت الجو هناك.

وفي إحدى الليالي بعد المحاضرة والجلسة البكائية وقراءة الأناشيد الحزينة ذهبنا إلى بيت أحد أصدقائنا، وكان يسكن في تلك المدينة وكان على صلة بنا وبإدارة البرنامج.

---

(١) منطقة كنكان.

حضر عنده رجل كان يبدو مضطربا حزينا، فجلس أمام السيد فاطمي، وقال: السيد المحترم لدي بعض الاستفسارات، فهل تسمح لي؟ فقال السيد فاطمي: تفضل. قال الرجل المضطرب وهو يحاول أن يتماسك نفسه: هل حضرتك متزوج؟ أجابه السيد فاطمي مستغربا: نعم. سأله الرجل: وأتصور بأن زوجتك جميلة جدا.

طريقة الرجل في طرح أسئلته وكيفيتها جعلت السيد فاطمي يثور ويغضب غضبا شديدا، وفي ثورة الغضب لم يتمالك نفسه فلطم الرجل لطمة شديدة في وجهه، وهكذا انقلبت جلسة الحوار والبحث إلى ساحة صراع وعراك.

استطعنا بعد تدخل من أسرة صاحب البيت أن نهدئ الموقف.

لكن الرجل الذي تبين لنا أنه سني كان يصرخ في غضب شديد ويقول للسيد فاطمي: أنت لست غير رجل متطفل على العلم والعلماء وتغار على زوجتك إلى هذه الدرجة فلا تستطيع أن تتحمل كلاما بسيطًا فيها.

فيا أيها الرجل الأحمق ويا.. كيف تفتري على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه صهر الرسول صلى الله عليه وسلم وفاتح خيبر والبطل الذي سماه الرسول بأسد الله، هل كان مثله يسكت وهو يرى أعداءه يضربون زوجته ويشتمونها ويهينونها؟!

ألا تستحي من نفسك وأنت تكذب وتفتري على صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

ما تقوله وما تفتري به على التاريخ وعلى الصحابة ليس إلا شتما وإهانة لشخصية علي رضي الله عنه؟!

ثم التفت إلينا نحن جميعا وصرخ فينا: يا أيها الخبثاء! اخرجوا من مدينتنا بسرعة. ثم قال لمضيفنا: أخرج هؤلاء الأشرار من بيتك لئلا يحاسبنا الله بخبثهم ودجلهم فينزل علينا عذابه الشديد وعقابه الأليم.

أثر هذا الموقف فيّ إلى حدٍ كبير، كانت خاطرة مريرة ترسخت في رأسي ولا أظنني أستطيع أن أنساها أبدا.

رجعنا إلى قم ورفعنا تقرير سفرنا إلى إدارة «الحوزة العلمية» وشرحنا تفاصيل ما حدث لنا هناك، ولم يكن من المسؤولين إلا أن قالوا: لا بأس عليكم... لا تهتموا بالموضوع أبدا فالسنة على

طول التاريخ كانوا يكرهون أهل البيت ويعادو م، فلا تتعبوا أنفسكم وحاولوا أن تنسوا ما حدث لكم.

كل حاول أن يرفع عنا شيئًا لما حدث بتفسير أو تأويل يكشف عن عداوة السنة لأهل بيـت الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن هذه الحادثة أثرت فيّ تأثيرا كبيرا وجعلتني أراجع نفسي كـل حين، وأشك في كل ما أعتقده وما أؤمن به من الأفكار والعقائد الشيعية.

السفر إلى ديار العشق (بلوشستان)

أبدأ باسم الله الواحد الذي يقهر الظالمين، وأصلي وأسلم على رسوله الأمين وعلى صحابته الغر الميامين، ثم أحكي حكاية سفري لأصحابي:

قدر الله أن أخرج من قم في ركب مناظرين..

قطعنا بأمر من أستاذنا الصحاري والفيافي...

ذهبنا إلى ديار البلوش..

ما أسعدك يا رمز العز يا أيها البلوش..

في حيرة منا لم يستضيفونا إلا باللبن..

كان بحثنا «آية التطهير» ومن هنا أخذنا في التغيير..

أدركنا بأننا نحن الشيعة لا أساس لنا ولا أصول إلا الشهوات واتباع الفضول..

إلا المتعة والبكاء والعويل، لا الحديث عن الشجاعة والبطولة..

وماذا عساي أن أقول عن حكاية علي رضا رحمة الله عليه [١] وقد قضى نحبه في سبيل عقيدته، بعد أن اغتالت رصاصة الغدر هذا الورد في تلك الليلة المريرة، فما إن استقرت عقارب الساعة على الثانية عشرة إلا وقد طارت روحه إلى جنان الخلد.

وكان آخر ما أوصاني فقد اهتديت، فالحق بأهل السنة لتسعد في الدنيا والآخرة، وليجمعنا ربنا إخوانا على سرر متقابلين.

ما أعظم ما أوصاني.. وقد دخلت وصيته قلبي وتغشاني..

يا أبي أين أنت؟ إلى أين تمضي؟ لماذا تجري وراء الضلال؟

إلى أين يا أصحابي وزملائي؟

(١) سيأتي ذكر الشهيد «علي رضا محمدي» زميل المؤلف وصديقه ورفيقه في رحلة الهداية.

تعالوا والحقوا بي في ركب الموحدين..

ويا ليت ربي يهبني الشهادة؛ لألحق بأخي وحبيبي علي رضا[1].

لم تمر خمسة أو ستة أشهر من سفرنا إلى منطقة السنة «كنكان»، وإذا بإدارة الحوزة العلمية قد رتبت برنامجا دعويا آخر إلى مدينة «إيرانشهر» من مدن محافظة بلوشستان، وقد اختـاروا لهـذه الرحلة مجموعة من أبرز وأقوى الطلبة المتفوقين في الحوزة العلمية بقم، ممن لهم تجارب جيـدة في الدعوة والمناظرة والنقاش والجدل، وكان الهدف المعلن والظاهري لهذه الرحلـة: أن نستكـشف الآثار الإيجابية أو السلبية التي تركتها المؤتمرات واللقاءات التي أُعدت في موضوع تقريب المذاهب - وحدة السنة والشيعة - في هذه المنطقة.

لكن في واقع الأمر كان يهدف من خطط لهذه الرحلة ونسق برنامجها أن نناقش أحـد أبـرز علماء السنة في بلوشستان ممن لهم صيت واسم جيد، ويتمتع باحترام وتبجيل بين الـسنة، وقـد ضرب مثلًا رائعا في الزهد والبساطة والإخلاص.

وقد كان أمره يهم السادة المسؤولين في قم، وذلك لأنه كان صاحب مواقف شـديدة تجـاه الشيعة، وكانت الإدارة في قم تعتبره من رؤوس الوهابيين، وكان يعيش بعيدا عن عالم السياسة.

كان الهدف الأصلي وراء سفرنا هذا أن نبحث عن مواطن الضعف في هذا العالم السني، وأن نعرف أين وكيف يطبع كتبه ومن يموله ويساعده، ومن يعينه في إدارة مدرسته وتكلفة مصاريفها.

وكان فريقنا السداسي يتكون من كل من:

١- السيد أبوذر فاطمي.

٢- علي رضا محمدي.

٣- السيد أبو طالب حسيني.

٤- محمد رضايي.

٥- عبد الحسين جلاليان.

(١) أبيات شعرية تصور حنان الشاعر - المؤلف - إلى أخيه الشهيد واعتزازه بعقيدته وإخلاصه لها.

٦- مرتضى رادمهر.

وكان السيد أبو ذر فاطمي هو مسؤول الفريق وأمير الركب.

استدعينا جميعا إلى قم إلى مكتب السيد آية الله وحيد الخراساني، وحضر اللقاء كذلك السيد غلام رضا كاردان، والسيد أبو ذر فاطمي وآية الله أستادي.

استمعنا إلى الوصايا والأوامر والتوصيات الأخيرة وإلى تفاصيل الواجبات التي كُلفنا ا.

وشرح السيد آية الله وحيد الخراساني أهمية هذا السفر والأهداف التي يجب أن نحققها.

شرح لنا خطة البرنامج وتفاصيله وأشار إلى أنه سبق أن التقى ذا العالم الـسني في إحـدى مؤتمرات تقريب المذاهب، وحاول أن يبين لنا وجوه أهمية هذه الرحلة، وأهمية هذا الرجل الـسني وأنه من كبار علمائهم.

وبعد تفهيمنا الخطة ودعونا، ورتب البرنامج بحيث يجتمع أعضاء الفريق في طهران - العاصمة - ومن هناك يتم نقلهم إلى زاهدان، ومن زاهدان إلى منطقة ذلك العالم السني.

وحسب الخطة المرسومة كان السيد فاطمي وحده يلبس زي علماء الشيعة، أما نحن - أعضاء الفريق - فكنا نلبس الملابس العادية..

عند الغروب دخلت أنا برفقة علي رضا محمدي رحمه الله إحدى مساجد السنة.

اقتربنا إلى رجل كان يلبس لباس أهل المنطقة - البلوش - وسلمنا عليه وقدمنا أنفسنا إليه بأننا كنا شيعة وأصبحنا الآن من أهل السنة، ونحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة في المذهب السني، وأردنا منه أن يعرفنا إلى عالم يستطيع أن يشبع متنا.

رحب بنا الرجل بكل بساطة وصدقنا فيما نقوله وأعطانا عنوان بيت ذلك العالم السني الشهير الذي جئنا لنلتقي به، وأوصانا ألا نكشف اسم العالم إلى الآخرين - حرصا علـى حياتـه - وفي الصلاة صففنا مع الناس وصلينا على طريقة أهل السنة والجماعة ووضعنا أيدينا على صـدورنا في القيام حتى نثبت أننا أصبحنا من أهل السنة!!

راجعنا العنوان بعد الصلاة وتأكدنا من أن العنوان يطابق عنوان بيت ذلك العالم الذي بعثنـا من أجله.

رجعنا إلى بيت إمام جمعة الشيعة في مدينة «إيرانشهر» وشرحنا وضع المنطقة وما حصلنا عليه من المعلومات لأعضاء الفريق، ورتبنا برنامجنا على وفق ما رأيناه.

مساء اليوم التالي انطلقنا بسيارة مكتب المرشد العام للثورة برفقة رجل يعرف المنطقة إلى بيت ذلك العالم، واتفقنا أن ترجع السيارة بعد أسبوع إلى نفس المكان ليرجع أعضاء الفريق إلى المقـر الرسمي..

قبيل المغرب تقريبا أرشدنا أحد طلاب الحوزة العلمية - ويسمونها المدرسة الدينيـة - إلى دار الضيافة في المدرسة وجهز لنا مكانا هناك.

وبعد فترة وجيزة أحضروا لنا طعام العشاء وكان مجرد الخبز والمرق مما أُعد للطُلاب مـسبقًا، فاستغربنا جدا من ضيافتهم لنا بهذه الطريقة، فقد كنا نعتبر أنفسنا ضيوفًا خاصين، ومجموعة مـن كبار العلماء حضرنا من مكان بعيد جدا، مع ذلك فهم يستضيفوننا بالخبز والمرق فقط.

غضبنا من تصرفهم هذا واعتبرناه إهانةً مقصودة لنا، مما جعلنا لا نرغب في العشاء كثيرا.

بعد ذلك فهمنا أنهم يعاملون الجميع بنفس المعاملة، ليس لديهم ضيوف خاصـين ولا غـير خاصين، كل من يأتيهم يأكل مما يعد للطُلاب ولا فرق ولا ميزة عندهم لأحد علـى أحـد، ولا لضيف على ضيف.

وبعد العشاء ذهبنا إلى المسجد لأداء صلاة العشاء وأمنا في العشاء الـشيخ نفـسه، وكـانوا يسمونه «مولانا»، وكنا نراه لأول مرة.

وبعد أداء الصلاة خرج الشيخ من المسجد ولم يتم التعارف بيننا بعد.

زينا وبالأخص لباس السيد فاطمي - زي علماء الشيعة - كان يشير إلى أننا لسنا من أهـل المنطقة وأننا ضيوف عليهم، لكن لا أحد يلتفت إلينا ولا اهتم بنا اهتماما خاصا.

لم يصافحنا ولم يسلم علينا إلا عدد قليل من المصلين، وكأن أُناسا على شاكلتنا كـثيرا مـا يأتون إلى مسجدهم وكثيرا ما يجدون ضيوفًا مثلنا فلم يستغربوا من وجودنا.

رجعنا إلى دار الضيافة وكنا في أشـد الحـزن والغـضب مـن طريقـة تعاملـهم معنـا، إذ اعتبرونا ضيوفًا عاديين في حين أننا كنا نعتبر أنفسنا ضيوفًا خاصين يجب أن نحتـرم ونـستقبل

بطريقة خاصة تليق بمقامنا ومكانتنا.

وفي اليوم الأول استطعنا أن نلتقي بسعادة «مولانا» - الشيخ - بعد أن أدينا صلاة الفجـر جماعة، وحضرنا محاضرة قصيرة له في التفسير يلقيها يوميا بعد الفجر.

كان هذا الدرس في تفسير سورة النور، تحدث فيه الشيخ عن حديث الإفك، وكيـف أن الله عز وجل أنزل براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما افتراه المنافقون من فوق سبع سمـاوات، وأظهر أسفه الشديد على من سماهم «بالمساكين» الذين لم يزالوا يتفوهون بكلمات يطعنون ـا ساحة أم المؤمنين وينقصون من مكانتها.

ثم رافقنا الشيخ إلى دار الضيافة لتناول الفطور.

كان وجه الشيخ يتلألأ صفاء وإخلاصا، وكانت ترقد على شفتيه بسمة طاهرة!

قال لنا في كلمات تفوح صدقًا ومحبة: أتصور بأن البارحة لم تكن ليلة سعيدة لكم! وأعتـذر أشد الاعتذار. وقال: بأن ظروفنا الاقتصادية لا تسمح لنا أن نؤدي حق الضيافة لضيوفنا المحترمين كما ينبغي.

دام اللقاء الأول على مائدة الفطور أقل من ساعة قضيناها في التعارف وبعض المقـدمات، ثم استأذن الشيخ وخرج ليعد نفسه للتدريس.

في هذا اللقاء السريع تبين لنا بأن تلك الصورة الباهتة التي قدمت لنا عنه في قم لم تكن صورة صادقة عن شخصيته، وأدركنا جيدا بأن نسبة نجاحنا إن خضنا مناظرة علمية معه ليست نـسبة نحسد عليها، بعبارة أخرى عرفنا جيدا بأن الرجل جبل شامخ في العلم والمعرفـة والتقـوى، وأن مستوانا العلمي أقل منه بمراحل، فلا نستطيع أن نجا ـه كما كنا نتصور ونحن قادمون إليه.

بدا لنا أننا لا نستطيع أن نجلس معه في لقاء آخر إلى صبيحة اليوم التالي، فاضطررنا أن ننتظـر ونترقب اللقاء الثاني.

قررنا أن نذهب إلى مكتبة المدرسة الدينية لنرى من أين يرتوي هؤلاء الناس ومن أين يأخذون علمهم.

كان كل همنا أن نعرف كل ما يدور حولنا، لنعد تقريرا شاملًا يشمل على جميع النقاط الـتي

بعثنا من أجلها... الكتب، المقالات، البحوث، المصادر... كل ما يمكن استغلاله في مواجهة هؤلاء القوم.

دخلنا المكتبة والتقينا فيها بأحد مدرسي المدرسة وتعرفنا عليه، وعرفناه بأنفسنا، وعرفنا من خلال حديثنا معه بأنه أحد أبرز مدرسي المدرسة.

كان على أحد جدران المكتبة خريطة تاريخية تشير إلى الفتوحات الإسلامية التي حصلت في العصر الإسلامي الأول، أي: أيام الخلفاء الراشدين.

اقتربنا من الخريطة واصطنعنا نقاشا حولها، وإذا بالمدرس يجيب على كل تساؤلاتنا عن الموضوع وعن الخريطة وتفاصيلها بكل صدق وثقة وشفافية دون مجاملات أو نفاق.

كانت كل كلمة منه تثير إعجابنا به وتجعلنا نتحير ولا نكاد نصدق ما نراه.

في منطقة نائية كهذه ترتمي في أحضان كل معاني الفقر والحرمان كنا نجد مثل هذه الشخصيات العلمية المثقفة، والأعجب من هذا كله: أنه كان يدرك تماما بأننا من علماء الشيعة، وأننا بعثنا للتجسس ومعرفة ما يدور عندهم، وأننا قد نسبب له مشاكل لا حصر لها، لكنه لم يكن يخفي شيئًا وكان يبدي آراءه بكل جرأة وصدق وطمأنينة.

أيا كان الأمر لم نحصل خلال زيارتنا للمكتبة على شيء يمكن أن نستغله أو نبلوره في تقريرنا، فرجعنا إلى دار الضيافة.

عقدنا جلسة للمشاورة العاجلة فيما بيننا في دار الضيافة.

راجعنا فيها لقاءنا القصير مع الشيخ من كل جوانبه، وهذا اللقاء الأخير مع المدرس وما رأيناه في المكتبة وما تبين لنا من الحقائق وما وقفنا عليه من واقع الأمر، ثم اتفقنا أن نبرمج لقاءنا الثاني مع الشيخ، فرتبنا أسئلتنا واستفساراتنا مع الشيخ، واتفقنا على ألا نخوض في المسائل الخلافية وأن نجعل اللقاء لقاءً هادئًا، نطرح كل يوم سؤالًا أو سؤالين ولا نزيد..

قررنا أن نحصر اللقاء الثاني فيما يتعلق بالمدرسة وما يدور فيها وبرامجها ومناهجها ثم نخوض في قضية مؤتمرات تقريب المذاهب وجلسات الوحدة بين السنة والشيعة، وما ترتبه الحكومة وآثارها ونتائجها على الشعب والمنطقة؛ وبذلك نستطيع أن نقرأ عقلية الشيخ ومنهجه في هذا الموضوع.

وفي اليوم الثاني.. وبعد أداء صلاة الفجر من اليوم الثاني أظهر الـشيخ في تواضـع واحتـرام استعداده لمساعدتنا إن كنا نواجه مشكلة أو لدينا استفسارات يستطيع هـو أن يـشارك فيهـا؛ واستغللنا الفرصة وبدأنا معه في الموضوع المتفق عليه سابقًا، فسألناه عن موقفه من مؤتمرات تقريب المذاهب - الوحدة بين الشيعة والسنة -.

فبدأ الشيخ يتحدث عن نتائج هذه المؤتمرات وعن رأيه فيها بكل احترام وتواضـع وهـدوء، فقال: وإن كنت أعترف بأن هذه الجلسات وهذه المؤتمرات الكثيرة حققت بعض النتائج للقائمين عليها، لكن النظرة الدقيقة في آثار هذه المؤتمرات ونتائجها تجعلني لا أطمئن إليها، ولا أتصور بأ ا ستحقق شيئًا كثيرا أو تخفف من الفجوة الكبيرة بين السنة والشيعة أو توصلنا إلى وحدة حقيقيـة بين الفريقين.

ثم أضاف: لا بد أن ندرك بأن هذه الوحدة التي نحلم ا لن تتحقق إلا إذا توقف علماء الشيعة عن التطاول على مقدسات أهل السنة والجماعة، و إذا تركوا الطعن فيما يعتقده أهل الـسنة، ولم يتعرضوا لمقام الصحابة رضي الله عنهم بكلمات تجرح قلو م، وبمواقف تجعلـهم يـشككون في أهداف هذه المؤتمرات.

كان في هذا اللقاء مجموعة من طُلاب المدرسة ومدرسيها، وكان بعضهم يحاول كـذلك أن يشاركنا في الحديث ويدلي بدلوه فيما نقوله.

قال أحدهم دون مهابة أو خوف: إن كنا نزعم بأن حكومتنا إسلامية، وأننا نطبق أحكام الله فبالله عليكم! قولوا لنا: أي حق أو أي فتوى شرعية تبيح لكم أن تخربوا مسجد «الشيخ فـيض محمد» في مدينة «مشهد»[1] وتجعلوا مكانه حديقة لل هة؟!

رد السيد فاطمي على هذا الاستفسار بأن أرض مسجد شيخ فيض محمد كانت من موقوفات المقبرة الطاهرة والمرقد العالي لسيدنا الإمام الرضا عليه السلام.

فغضب الشيخ وقال بصوت حاسم: أترى أن يبقى المكان مسجدا يرتاده المصلون يذكرون الله فيه ويصلون صلوا م ويتلون القرآن الكريم ليرجع ثواب كل ذلك إلى الإمام الرضا أفضل أم تقلّبوا

(١) كتب الشيخ موسى كرمبور رحمه الله إمام مسجد الشيخ فيض كتابا عن المسجد، والذي يقرأ الكتاب لا يملك أن يمنـع الدمع من عينية، وقد طبع بالفارسية، وترجم للعربية وقريبا سيطبع.

بيت الله حديقة يتنزه فيها شرار خلق الله، يرتكبون فيها أبشع الجرائم الأخلاقية؟!

كيف تحلمون ببناء جسور من الوحدة والتفاهم وأنتم جعلتم الإعلام الرسمي من جرائد ومجلات وتلفاز وإذاعات وجميع المراكز الحكومية والمكاتب الرسمية تهتف صباح مساء بما يثير مشاعر أهل السنة، وبما يطعن صراحة في عقائدهم واعتقاداتهم؟!

كيف تزعمون الوحدة وأنتم لا تسمحون لأهل السنة في طهران [1] - عاصمة البلد الإسلامي كما تزعمون - أن يبنوا مسجدا لهم يعبدون الله فيه؟

فبالله عليكم كيف تتحقق الوحدة وهذه أفعالكم معنا؟

كيف نصل إلى نقطة تجمع بيننا وأنتم تطعنوننا صباحا ومساءً؟!

ألا توافقونني على أن هذه الوحدة التي تزعمونها ليست إلا لعبة سياسية للضحك على الأذقان؟!

واستمر هذا اللقاء ساعةً واحدةً تقريبا، خرج الشيخ بعده إلى درسه، وبقينا نحن نترقب اليوم التالي، ولقاء آخر.

وفي مساء ذلك اليوم حدثت واقعة لم تكن مهمة لكنها كانت طرفة جيدة لنا.

خرج السيد فاطمي رئيس فريقنا وكان يلبس العمامة والعباية - الزي الخاص بعلماء الشيعة - من دار الضيافة، فاستقبله رجل عجوز كان يلبس ثوبا عربيا طويلًا، فقدم إليه إبريق ماء وقال له: خذه يا أيها المشرك المعمم. (أي: صاحب العمامة)!

حزن السيد فاطمي وجميع أعضاء الفريق من هذا الموقف حزنا شديدا، واعتبرناه إهانة لا يمكن السكوت عنها، وكان تأثيرها على أنفسنا كبيرا حيث لم نستطع أن ننام تلك الليلة جيدا.

وفي اليوم الثالث.. في صبيحة اليوم الثالث حكينا للشيخ ما فعله بنا ذلك العجوز، وأبدينا أسفنا وحزننا الشديد عن هذا الموقف المهين.

حزن الشيخ عما حدث واعتذر منا شديدا وقال: بأن مثل هذه المواقف لا تتناسب مع روح

---

(١) يتجاوز عدد أهل السنة في طهران خمسمائة ألف سني، ولا يسمح لهم ببناء مسجد واحد، وقد استولت الحكومة على قطعة أرض اشتروها لهذا الهدف، كما أنها استولت على المبالغ التي جمعوها لبناء مسجدهم. (م)

الإسلام ومنهجيته في الدعوة وسموه في الهدف.

وقال: بأننا مع الأسف نعيش بعض الحالات المرضية في مجتمعاتنا نتيجة الجهل وعدم التربيـة الإسلامية الصحيحة، فإخواننا السنة عندما يذهبون إلى المدن الشيعية بزيهم الخاص يواجهون أمثال تلك المواقف الشنيعة، ويستهزئ الناس م وينادو م بالسنة العمريين![1].

أيا كان فقد اعتذر الشيخ من جميع أعضاء الفريق ولم يعط للمسألة اهتماما كبيرا، واعتبرهـا شيئًا هينا لا ينبغي أن يحزننا كثيرا، وبعد الفطور أعلن عن استعداده إن كان عنـدنا أسـئلة أو استفسارات.

وكنا قد سجلنا مسائل خلافية هامة هي مفهوم آية التطهير، والقول بعصمة الأئمـة علـيهم السلام، وموضوع أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص صريح من الله عز وجل، وما دار في غدير خم، وقضية استشهاد فاطمـة الزهـراء عليهـا السلام.

واتفقنا أن نطرح في هذه الجلسة قضية آية التطهير وما تعنيه.

وآية التطهير في سورة الأحزاب: ((إِنما يريد الله ِليذْهِب عنكُم الرجس أَهلَ الْبيتِ ويطَهركُم تطْهيرا)) [2] [الأحزاب:٣٣].

---

(١) نسبة إلى الخليفة الراشد والصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي يعتبر عند مبغـضيه طاغيـة مـن الطواغيت!! (م).

(٢) يرى الشيعة بأن كلمة «أهل البيت» في هذه الآية لا تشمل إلا عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ولا تشمل زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم.

لكن أهل السنة يقولون بأن دائرة الآية أعم من هذا، فالأهل تعني الأسرة، ومواردها في القرآن الكريم تثبت ما يراه أهل السنة، فمثلا لم يكن مع سيدنا موسى عليه السلام في جبل الطور صهر ولا حفيد، لكنه لما خاطب زوجته وأولاده لينتظروه حتى يرجع قال لهم: ((فَقَالَ ِلأَهلِهِ امكُثُوا))[طه:١٠]، فتخصيص كلمة «الأهل» للصهر والأحفاد فقط خطأ كبير.

والآية هنا في سورة الأحزاب ((إِنما يريد الله ِليذْهِب عنكُم الرجس أَهلَ الْبيتِ ويطَهركُم تطْهيرا)) تعني زوجـات الرسـول صلى الله عليه وسلم، ولا تعني أبدا أن أمهات المؤمنين - زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم - كن في حالة سيئة فلا تشملهم الآية.

والآية لا تحكي عن تطهيرهم عن الرجس والخبث، وإنما تحثهم - هذه الآية وما قبلها وما بعدها - على الفضائل والمعاني العالية والمفاهيم الجليلة التي تليق بمقامهم. وحتى نساء الأمة إن تبعن أمهات المؤمنين في تلك المعاني المشار إليها، وتزين بما أمرهن الله ا تشملهم هذه الآية الكريمة.

طلبنا منه أن يفسر لنا آية التطهير التي تعد من مواطن الخلاف بين الشيعة والسنة، فقال الشيخ: بأن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل بيت الرسول لا محالة.

وهنا طرح أحد العلماء من أعضاء الفريق سؤالًا أحمقًا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فبدأ الشيخ يشرح لنا الموضوع ببساطة ولين، وقال: بأن التاريخ يشهد على أن السيدة عائشة الصديقة كانت من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الله عز وجل قال في محكم تـ يله: ((النِبي أَولَى ـِبالْمؤمِنين ـِمن أَنفُسِهم وأَزواجه أُمهاتهم وأُولُو الأَرحامِ بعضهم أَولَى ـِببعضٍ ـِفي كِتابِ اللهِ ـِمن الْمؤمِنين والْمهاجِرين ـِإلا أَنْ تفْعلُوا ـِإلَى أَولِيائِكُم معروفًا كَانَ ذَلِك ـِفي الْكِتابِ مسطُورا)) [الأحزاب: ٦] فهي إحدى أمهات المؤمنين دون شك أو خلاف.

ثم بدأ الشيخ يقدم لنا شيئًا عن أسرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونسبها، وكنا نـ ستمع إليه في صمت وهدوء تام وكأن على رؤوسنا الطير.

فقال الشيخ: السيدة عائشة بنت أبي بكر، كانت تكنى بالصديقة، وكان أبوها خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأول أمير للمؤمنين من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب المصطفى عليه الصلاة والسلام في الغار، وقد سجل القرآن الكريم هذه المنقبة له: ((ثَاِني اثْنيِن ـِإذْ هما ـِفي الْغارِ))(١)، وأما أمها فهي أم رومان، وتصل شجرة نسب أم المؤمنين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في جدها الثامن: فعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب التيمي.

وشجرة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بـ ن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كعب.

بعد فترة من زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة صرح لها المصطفى عليه الـ صلاة

وهذا ما يستطيع أن يدركه أي إنسان بسيط إذا راجع القرآن ونظر إلى الآيات التي سبقت هذه الآية والتي تليها.

وقد أدخل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين في هذه الآية حديث الكساء الذي روته عائشة رضـ ي الله عنها. ولمعرفة المزيد في هذا الموضوع ننصح القارئ بالرجوع إلى كتاب «آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة» للـ دكتور السيد عبد الهادي الحسيني.

(١)((إِلا تنصروه فَقَد نصره الله ـِإذْ أَخرجه الذِين كَفَروا ثَاِني اثْنيِن ـِإذْ هما ـِفي الْغارِ ـِإذْ يقُولُ ـِلصاحِبِهِ لا تحزنْ ـِإن اللـ ه معنـ ا فَأَنزلَ الله سكِينته علَيِه وأَيده ـِبجنودٍ لَم تروها وجعلَ كَلِمةَ الذِين كَفَروا السفْلَى وكَلِمةُ اللهِ هِي الْعلْيا والله عزِيز حكِيم)) [التوبة: ٤٠] (م)

والسلام بقوله صلى الله عليه وسلم: (رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي: هذه امرأتك. فكشف عن وجهك الثوب فإذا هي أنت. فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه)[1].

وخطبت خولة السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسـلم، وهكـذا ساقها الله عز وجل لتكون زوجة لرسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم.

ثم تحدث الشيخ عن علم عائشة رضي الله عنها، ومكانتها العلمية بين صحابةِ الرسول صـلى الله عليه وسلم وقال: بأ ا تعد من أبرز علماء الصحابة، ومن أشهر الصحابة الذين حملوا رسـالة الإسلام وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأمة، وهي أعلم زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلم نساء الأمة على الإطلاق.

يقول الإمام الزهري رحمه الله عن أم المؤمنين: (لو جمع علم عائشة لفاق علم سائرِ أمهـاتِ المؤمنين وعلم النساء كلهن) [2].

ثم تحدث الشيخ عن مكانة عائشة عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبها ويحترمها وكانت هي أحب زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم إليه، وروى لنا هذا الحديث: (سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: من أحب الناس إليه فقال صـلى الله عليه وسلم: عائشة. فقيل: ومن الرجال؟ فقال: أبوها)[3].

تحدث الشيخ أكثر من ساعتين في تفسير آية التطهير وفي موضوع أمهات المؤمنين رضـي الله عنه ن، ولاسيما عائشة رضي الله عنها.

لا يستطيع قلمي المتواضع أن يصور مدى إتقان الشيخ تفسير آية التطهير والآيات التي تدور في نفس المعاني والنصوص التي وردت في هذا الباب، فقد كان الشيخ مِلما بالموضوع بشكل قـوي جدا، واستطاع أن يطرح المسألة بشكل علمي مما جعله يتطرق إلى مواضيع كثيرة.

وكنا قد اتفقنا مع بعضنا ألا نتجاوز في هذه الجلسة آية التطهير، لكننا شعرنا با يار نفـسي

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٩/٥) برقم: (٤٨٣٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٨/٨).

(٣) رواه البخاري (١٣٣٩/٣) برقم (٣٤٦٢).

شديد أمام ما نحن فيه من قوة الاستدلال وثراء البحث العلمي، فلم نستطع أن نصبر علـى هـذا الموقف وطرحنا كل ما كان لدينا من الأسئلة والشبهات.

سألته أنا عن إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقلت بأن عليا كان هو المنصوص عليـه بالخلافة لكن الخلفاء الثلاثة تجاهلوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته واغتصبوا حق علي عليه السلام في الخلافة.

فرد الشيخ بكل حزم وإيمان: أية وصية وأي خلاف وأي اغتصاب تعنيه؟!

فقلت له: أن الرسول صلى الله عليه وسلم رفع يد علي عليه السلام في جمع غفير من أصحابه في منطقة غدير خم وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه...).

فرد الشيخ قائلًا: طيب. وماذا تفهمون من كلمة «المولى»؟

قلت: «المولى» تعني «الخليفة».

ثم سمى الشيخ عددا من المعاجم وأخبرنا بالمعاني المختلفة التي وردت للكلمة فيها، ثم أضـاف: إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يعين عليا خليفة من بعده، فلماذا استعمل كلمة لها كل هذه المعاني والمدلولات ولم يوضح الأمر للناس كما ينبغي وجعلهم في حيرة من أمرهم؟!

لماذا استعمل كلمة «المولى» وهو يعرف جيدا أن للكلمة كل هذه المعاني والدلالات المختلفة؟

ولماذا لم يقل بكل بساطة وصراحة وهو أفصح العرب: يا أيها الناس! من كنت رسوله فهـذا علي خليفتي ووليي من بعدي؟

لم يبق لي ما أقوله بعد هذا الاستدلال القوي والمنطقي الذي يجعل كل عاقل يراجع نفـسه في ظله.

حاول أصحابي بما يحفظونه من الأدلة والبراهين الواردة في الكتب الشيعية أن يثبتـوا صـدق المذهب الشيعي، وأنه هو المذهب الحق دون غيره.

لكن كل الأدلة والبراهين التي كان يقدمها أصحابي لم تكن تخرج من الاستدلالات المتفلسفة ومن المصادر الشيعية، وكان رد الشيخ عليها بأ ا استدلالات شيعية تعارض القرآن الكريم والآية الفلانية، وكان يطالبنا بالرجوع إلى القرآن الكريم.

طرحنا قضية ردة الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إحدى المواضيع المهمة في المعتقدات الشيعية[1]، فرد عليها الشيخ بالأدلة والبراهين القوية ردا حاسما، أورد شيئًا مما قاله هنا:

سأل الشيخ رئيسنا السيد فاطمي: لو سمحت! هل يمكن أن تتكرم وتخبرني عن نسبة النجـاح في الحوزة العلمية عندكم؟

فقال السيد فاطمي: بين ثمان وتسعين وسبع وتسعين بالمائة (٩٧-٩٨%).

فرفع الشيخ يديه وقال: حمدا لك يا رب، ما أحلمك! يزعم هؤلاء القوم بأن نسبة النجـاح عندهم في مدرستهم مع كل ما عندهم من الفسق والفجور والذنوب والمعاصي والنقص بين (٩٧ إلى ٩٨%)، في حين أن نسبة النجاح في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم الذي يوحى إليه لم تتجاوز خمسة إلى ستة أشخاص من جمع تجاوز مئة ألف صحابي!!

ثم قال: بالله عليكم - يا أيها الناس - هل تستطيع عقولكم أن تصدق ما تتفوه به ألسنتكم؟

أليست هذه إهانة للرسول صلى الله عليه وسلم وطعنا في أسلوبه الدعوي والتربوي؟

ألا يعد هذا نقصا وعيبا في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه التربوي ونظامـه الدعوي، إذ لم يستطع أن يربي (تلامذته) على الثبات في عقيد م؟ فارتدوا - كما تزعمون - أول ما سمعوا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم طمعا في شيء من متاع الدنيا؟!

أي عقل سليم يستطيع أن يصدق ما تقولونه من أ م ارتدوا من أجل الدنيا، وهم الذين قدموا أموالهم وأرواحهم ونساءهم وأولادهم ومناصبهم ومكانتهم الاجتماعية والـسياسية ووظـائفهم ورتبهم من أجل هذا الدين ولرفع كلمة الله عز وجل خفاقة على العالمين.

وهم الذين رفعوا هذا الدين على أكتافهم وتحملوا في سبيله كل المصائب والمحن، وفدوه بكل غالٍ وثمين كانوا يملكونه.

---

(١) يعتقد الشيعة بأن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتدوا بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام، إلا خمسة منـهم، ويتجاهلون كل الآيات القرآنية التي تصف الصحابة وبالأخص السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، والذين رضي الله عنهم بشهادة القرآن الكريم، وأصبحنا والشيعة كذلك نتلو الآيات التي تذكر مناقبهم وتحكي حـب الله عز وجل ورضائه عنهم في صلواتنا إلى يوم الدين!! وقد عالج الأستاذ محمد باقر سجودي ممن من الله عليهم بنعمة الهداية هذه القضية في كتابه الرائع «تضاد في العقيدة» ننصح بقراءته وهو بالفارسية، وترجم للعربية وسـيطبع قريبـا إن شـاء الله.(م)

يا ليت شعري! لماذا لا يرجع الذين يطعنون في الصحابة ويشتمو م ويفتـ رون علـ يهم إلى عقولهم، ولماذا لا يفكرون قليلا فيما يقولونه؟ فوالله لو فكروا قليلًا و راجعوا أنفسهم فيما يقولونه لأدركوا الحق ولاستحيوا من أنفسهم.

أو لا يقرءون القرآن الكريم وهو يصرح فيهم: ((رضِي الله عنهم ورضوا عنه))[(١)]، فهل كان الله عز وجل قد رضي عنهم يومذاك ليدخلهم نار جهنم بعد ذلك؟!

أليس هذا طعنا في ذات الله عز وجل ونقصا فيه؟!

أو لم يكن الله عز وجل يعرف ما سيحدثه هؤلاء، فأعلن بأنه رضي عنهم وبشرهم بالجنة؟

فهل تؤمنون بأن علم الله قاصر عن معرفة المستقبل؟!

وإذا كنتم تؤمنون بأن الله عز وجل يعلم الغيب، وكان يعلم بأن هؤلاء القوم سيرتدون وأ م يخونون رسولهم ويكفرون بدينه فلماذا قال فيهم: ((والسابِقُونَ الأولُونَ مِن الْمهاجِرِين والأنصارِ والذِين اتبعوهم بِإحسانٍ رضِي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لَهم جناتٍ تجرِي تحتها الأنهار خالِدِين فِيها أبدا ذَلِك الْفَوز الْعظِيم)) [التوبة: ١٠٠].

فيا ترى! كيف يفسر من ينصب نفسه من شيعة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية؟ وماذا يقول علماء الشيعة في هذه الآية؟ وماذا يقولون في قوله تعالى: ((رضِي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لَهم جناتٍ تجرِي تحتها الأنهار خالِدِين فِيها أبدا ذَلِك الْفَوز الْعظِيم))[(٢)]؟

---

(١)((والسابِقُونَ الأولُونَ مِن الْمهاجِرِين والأنصارِ والذِين اتبعوهم بِإحسانٍ رضِي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لَهـم جنـاتٍ تجرِي تحتها الأنهار خالِدِين فِيها أبدا ذَلِك الْفَوز الْعظِيم)) [التوبة: ١٠٠].

(٢) وماذا يقولون في قوله تعالى: ((محمد رسولُ اللهِ والذِين معه أَشِداءُ علَى الْكُفَّارِ رحماءُ بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغونَ فَضلًا مِن اللهِ ورِضوانا سِيماهم فِي وجوهِهِم مِن أَثَرِ السجودِ ذَلِك مثَلُهم فِي التوراةِ ومثَلُهم فِي الإنجِيلِ كَزرعٍ أخـرج شطْأَه فَآزره فَاستغلَظَ فَاستوى علَى سوقِهِ يعجِب الزراع لِيغِيظَ بِهِم الْكُفَّار وعد الله الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ مِنهم مغفِرةً وأجرا عظِيما)) [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ((الذِين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فِي سبِيلِ اللهِ بِأموالِهِم وأنفُسِهِم أعظَم درجةً عِند اللهِ وأُولَئِك هم الْفَـائِزونَ * يبشرهم ربهم بِرحمةٍ مِنه ورِضوانٍ وجناتٍ لَهم فِيها نعِيم مقِيم * خالِدِين فِيها أبدا إن الله عِنده أجر عظِـيم)) [التوبـة: ٢٠- ٢٢].

وقوله تعالى: ((إلا تنصروه فَقَد نصره الله إذْ أخرجه الذِين كَفَروا ثَانِي اثْنينِ إذْ هما فِي الْغارِ إذْ يقُولُ لِصاحِبِهِ لا تحزنْ إن الله معنا فَأنزلَ الله سكِينته علَيهِ وأيده بِجنودٍ لَم تروها وجعلَ كَلِمةَ الذِين كَفَروا السفْلَى وكَلِمةُ اللهِ هِي الْعلْيا والله عزِيـز حكِيم)) [التوبة: ٤٠]، وقوله تعالى: ((لَكِنِ الرسولُ والذِين آمنوا معه جاهدوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم وأُولَئِك لَهم الْخيرات

هل تكذّبون هذا الكلام؟ ألم يكن المهاجرون مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى آخر عمره أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف و...

لم يمض من هذا النقاش الجاد وهذا البحث الدقيق إلا ساعتان، وقد شعرنا بأننا فقدنا كل شيء، بل شعرنا بأننا لم نكن نملك أي شيء، فلا أساس لعقيدتنا ولا أصل لمفاهيمنا واعتقاداتنا، فكل ما نؤمن به ونعتقده وكل ما ورثناه ليس إلا أباطيل صنعها المغرضون والحاقدون على الإسلام، وورثناه نحن عن جهل.

كنا نعترف فيما بيننا بأننا انهزمنا، فلم يكن أمامنا إلا أن نعود، فأرسلنا السيد الحسيني إلى مكتب المرشد العام ليحضر سيارة من هناك فنرجع من مهمتنا، ورضينا من الغنية بالإياب، وفي مساء ذلك اليوم، وبعد مهمة دامت ثلاثة أيام رجعنا إلى مكتب المرشد العام.

ولعل من أبرز الحقائق التي كنا نرددها فيما بيننا، وكانت قد تجلت لنا في حديثنا مع الشيخ كانت هذه النقاط:

١- تفسير آية التطهير.

٢- الجو العلمي والروحي الذي كان مسيطرا على الجلسة.

٣- الحقائق القرآنية والدينية والعقدية التي كنا نجهلها.

٤- إتقان الشيخ وعلمه الغزير بالآيات القرآنية والمفاهيم الدينية.

٥- صدقه في الحديث عن المسائل العقدية وعدم مجاملته لأحد فينا.

٦- مواقفه العلمية والروحية العالية.

وأُولَئِك هم الْمفْلِحونَ * أعد الله لَهم جناتٍ تجرِي مِن تحتِها الأنهار خالِدِين فِيها ذَلِك الْفَوز الْعظِيم)) [التوبة: ٨٨-٨٩] وقوله تعالى: ((لِلْفُقَراءِ الْمهاجِرين الذِين أُخرِجوا مِن دِيارِهم وأموالِهم يبتغون فَضلًا مِن اللهِ ورِضوانا وينصرونَ الله ورسولَه أُولَئِك هم الصادِقُونَ * والذِين تبوءُوا الدار والإِيمانَ مِن قَبلِهم يحِبونَ من هاجر إِلَيهم ولا يجِدونَ فِي صدورِهم حاجةً مِما أُوتوا ويؤثِرونَ علَى أنفُسِهم ولَو كَانَ بِهم خصاصةٌ ومن يوق شح نفْسِهِ فَأُولَئِك هم الْمفْلِحونَ)) [الحشر: ٨-٩] وقوله تعالى: ((الذِين استجابوا لِلهِ والرسولِ مِن بعدِ ما أَصابهم الْقَرح لِلذِين أحسنوا مِنهم واتقَوا أجر عظِيم * الذِين قَالَ لَهم الناس إِن الناس قَد جمعوا لَكُم فَاخشوهم فَزادهم إِيمانا وقَالُوا حسبنا الله ونِعم الْوكِيلُ * فَانقَلَبوا بِنِعمةٍ مِن اللهِ وفَضلٍ لَم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رِضوانَ اللهِ والله ذُو فَضلٍ عظِيمٍ))[آل عمران: ١٧٢- ١٧٤] وغيرها من الآيات... (م).

٧- ثباته ووقاره مع زهده وتقواه.

٨- شخصيته العلمية وحبه العميق واحترامه الجم للرموز الدينية، ولاسيما أهل بيت الرسـول صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة و الحسن والحسين عليهم السلام.

رجعنا إلى قم ورفعنا تقريرا مفصلا عن رحلتنا هذه مع مجموعة من الأشرطة والمقاطع الصوتية التي سجلناها إلى إدارة الحوزة العلمية، واعترفنا زيمتنا في هذه الرحلة، وحكينا لهم تفاصيل مـا حصل لنا.

لم يكن من مسؤولي البرنامج ومن خطط له إلا أن قالوا كالعادة: بأن موطن الداء يكمن هنا، وأن المسألة ترجع إلى الأحقاد والضغائن التاريخية التي تغلي في صدور أهل السنة تجاه أهل بيـت الرسول صلى الله عليه وسلم وأسرة أمير المؤمنين علي عليهم السلام!!

وقالوا بأن هذه الرحلة كانت تجريبية لأهداف خاصة، ومع أننا اعترفنا زيمتنا وأن الرحلـة لم تعط ثمارها التي كنا نتوقعها، فإ م اعتبروها رحلة ناجحة وقالوا: بأننا نضع ما وصلتم إليـه مـن المسائل نصب أعيننا في وضع البرامج والمناهج التعليمية في الحوزة العلمية في قم، وأن رحلتكم هذه سوف تكون نبراسا أمام المسؤولين لوضع البرامج القادمة والخطط المستقبلية.

لكننا كنا نشعر بأن هذه الكلمات ليست إلا نوعا من ا املات يحاولون ا إعادة الثقة إلينا، ورفع آثار الهزيمة النفسية عن قلوبنا، ونوعا من التسلية لنا.

وليرفعوا عن قلوبنا بعض ما نعانيه دفعوا لنا جوائز تشجيعية، فدفعوا لي خمسين ألف تومـان على إنجازاتي الكبيرة في هذا السفر!!

نحن أدينا الواجب ورفعنا تقريرنا المفصل للإدارة، وحاولت الإدارة أن تغطي علـى الحقيقـة وتصور هزيمتنا نصرا، لعلها تستطيع أن تمسح عنا بعض آثار الهزيمة النفسية التي كنا نعاني منـها، لكن كلامهم ومجاملا م ما كانت تؤثر فينا أبدا.

كان تقريرنا في صمته يضع اللوم على عاتق إدارة الحوزة العلمية في قم، ويحاسبهم على ضعف مناهجهم وعلى هشاشة خططهم.

صورت الإدارة هذه الرحلة بأ ا كانت رحلة استخباراتية كشفت عن مواضع ضعف شديدة

في الشيخ، ولم يعتبروها دراسة علمية ولا مناظرات أو مناقشات يمكن الالتفات إليها.

وعن القضايا العقدية وضعوا اللوم على عاتق إدارة الحوزة العلمية التي زعموا أ ا هي المسؤولة عن هذه الهزيمة إذ أ ا بعثت مجموعة من الطلاب الصغار ممن ليست لهم أية تجارب ميدانية لمواجهة مثل هذه المواقف، ولا يستطيعون أن يجا وا مثل هذه المسائل الخلافية والعقدية، فكانوا سببا لطعن الأعداء في الرموز الدينية، ولاسيما أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأ م هم المـسؤولون عن الآثار السلبية التي تحدثها مثل هذه البرامج الفاشلة والخطط الضعيفة التي تمهد ـا لمـؤتمرات تقريب المذاهب وللشعارات الوحدوية مع أعداء أهل البيت.

كنا قد قدمنا تقريرنا المفصل وتفسيراتنا عن الرحلة إلى إدارة الحوزة العلمية في قم، وإلى مـن خطط للبرنامج وأرسلنا إلى هذه المهمة.

لكنني وصلت - إضافة على ما قلناه هناك - إلى أن مثل هذه البرامج لن تستطيع أن تجمع بين السنة والشيعة في قالب واحد، بل إ ا سوف تجعل الشيعة يبتعدون شـيئًا فـشيئًا عـن العـالم الإسلامي، لينعزلوا في زاوية صغيرة بعيدة عن جسد الأمة وروحها.

وإنني كلما أعيد النظر إلى هذه الرحلة، أزداد إيمانا إلى بأن هزيمتنا فيها كانت مشيئة ربانيـة، فشاء الله أن نرجع إلى قم خائبين خاسرين، لتكون هذه نواة أساسية تنمو في (ضميري)، فتثمر بعد حين عقيدة سليمة أعتنقها وأعتز ا، فقد ظلت خواطر هذه الرحلة المباركة تدك في (ضـميري) الهائج كالمطرقة، وتحرضني على إعادة البحث والنظر فيما كنت أعتقده في مذهبي الـشيعي إلى أن وصلت إلى الحق الذي كنت أحاول تجاهله، وشيئًا فشيئًا وصلت إلى أن العقيدة الـسليمة هـي عقيدة أهل السنة والجماعة.

ايتها وصلت إلى شاطئ الأمان واعتنقت الحقيقة طائعا مختارا، وكنت أعرف جيدا ما سوف ينتظرني من البلاء والعقاب، نتيجة هذا التمرد الصريح على دين الآباء والأجداد!!

السفـر إلـى بيـت الله

بعد ما رجعت من رحلتي إلى بلوشستان، كنت أشعر بحنين شديد إلى السفر إلى حج بيت الله عز وجل فتهيأت لي أسباب السفر واحدة تلو أخرى، وفي النهاية سافرت إلى مكة المكرمـة لأداء شعيرة الحج إلى بيت الله الحرام.

التقيت في مكة بأناس قطعوا صلتهم بالدنيا كلها.

كانوا رموزا في التوحيد يجب أن يضرب م المثل في الإيمان الصادق.

ثم انتقلت إلى المدينة المنورة وكنت أحضر محاضرات مشايخها، وصلت من خلالها إلا أن هؤلاء القوم لا يعبدون إلا الله ولا يرجون سواه، وقد وهبوا أنفسهم لعبادة الله عز وجل وطاعته.

أدركت في ظِلال ما سمعته منهم معنى قوله تعالى: ((إِياك نعبد وإِياك نستعِين)) [الفاتحة:٥].

ولما تشرفت بزيارة الروضة المطهرة وسلمت على النبي الكريم صلى الله عليه وسـلم رأيـت كيف يحاول الشيعة أن يبتعدوا عن قبري: سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما، ويحاولون ألا تقع عيو م على قبور صاحبي الرسول صلى الله عليه وسلم.. قلوب تفيض حـسدا وكرهـا، وصدور ملئت ضغينةً وحقدا.

تعرفت على جوانب عديدة من شخصية أم المؤمنين عائشة الصديقة رضـي الله عنـها مـن محاضرة لأحد العلماء المشهورين في بلاد الحجاز.

وعرفت بأن التهم التي وجهت إلى عائشة الصديقة رضي الله عنها، كانت مكرا دبرها بليـل يم مجموعة من أعداء الإسلام للطعن في هذا الدين من خلال الطعن في أسرة الرسول صـلى الله عليه وسلم.

كان المنافقون يظنون أ م يستطيعون أن يطعنوا في قلب الإسلام بحادثة الإفك المشهورة.

وحقًا لو لا أن الله تدارك هذا الأمر ونصر المسلمين فيها، ولو لا صـبر المـؤمنين وحلمهـم وتقواهم وحسن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم لحدثت تحدث في الصف الإسلامي فتنـة عظيمة ما كان يعلم مداها إلا الله.

في تلك الظروف الطاغية وتلك الإشاعات الخبيثة استطاع المسلمون أن يتمالكوا أنفسهم في حلم وثبات وصبر عميق، ويدرسوا الواقع دراسةً موضوعية للكشف عن الأيادي الآثمة التي كانت تلعب وراء الكواليس.

جعل الله هذه الواقعة تنتهي بنفع المؤمنين بعد أن كادت تصبح فتنة تعرقل الصف الإسلامي.

وقد كانت فيها حكم ودروس يجدر بي أن أشير إلى شيء منها:

١) كانت هذه الحادثة امتحانا للمؤمنين الذين تربوا في ظلها وصقلت أخلاقهم، وأدركوا كيف يجب أن يتعاملوا مع مثل هذه الظروف الحرجة، وفهموا مكانة المؤمن في الإسلام، وأن أعراض المسلمين لا ينبغي أن تكون عرضةً للتطاول والإهانة، وأن الكلمة لها وزنها في ديننا، وأن اللسان قد يجر صاحبه إلى الضلال المبين ويكبه في النار، لم يقع في هذه المكيدة وهذا الشراك الذي نصبه المنافقون إلا ثلاثة من المؤمنين فقط![١]

٢) كانت هذه الحادثة سببا في أن يشرع للمسلمين عدد من الأحكام والقوانين الاجتماعية.. تلك الأحكام والقواعد التي لو التزم بها المسلمون لصفت مجتمعا تهم من ألوانٍ من الفساد الاجتماعي والمنكرات الأخلاقية، وكثير من الفتن والاختلافات.

٣) أدرك المسلمون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، فلو علم الغيب لأعلن براءة زوجته وطهارتها مما يطعنها به المنافقون في أول الأمر.

٤) وأدركوا بأن كل ما ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأتي به من عند الله عز وجل، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل البشر وأحبهم وأعلاهم مكانة عند الله لا يعلم الغيب، فكيف يمكن أن يعلم علي أو أهل بيته عليهم السلام الغيب؟!

٥) ارتفعت مكانة أم المؤمنين عائشة وأسرتها في أعين المؤمنين وتضاعفت مناقبها؛ إذ سجل القرآن حكايتها فنزلت فيها عشر آيات من سورة النور يتلوها المؤمنون إلى يوم القيامة ويشهدون بطهارتها وعفتها وحيائها، فأصبح احترام الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه المطهرات، أمهات

---

(١) هم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش رضي الله عنهم، وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم عليهم الحد فجلدهم ثمانين جلدة.

المؤمنين، رمزا وواجبا وشعارا للمسلمين إلى يوم القيامة.

٦) من أهم الأمور التي يجب أن نشير إليها هي موقف إجماع المسلمين.. صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الواقعة إذ وقفوا جميعا صفًا واحدا أمام تلك الإشاعات المغرضة، وتلك الافتراءات الرخيصة التي كان يتفوه بها المنافقون.

وجاءت الآيات القرآنية توقع على صدق نواياهم، وتشهد على صحة مواقفهم، فكأن الآيات تحوي في أحشائها تزكية لهؤلاء الصحابة كذلك إذ لم يتلقوا مع المتلقين[1].

(١) حكى الله عز وجل مقولة المؤمنين في الإفك في سورة النور: ((ولَولا إذْ سمِعتموه قُلْتم ما يكُونُ لَنا أَنْ نتكلم بهـذَا)) الآية.. أي: ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد: ((سبحانك هذَا بهتانٌ عظِيم)) أي: سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله صلى الله عليه وسلم.(م)

وقفة أخرى مع المحاضرة التي استمعت إليها
في المدينة المنورة عن الإفك

في العام السادس الهجري وصلت الأخبار إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق بدؤوا يجمعون جيشا كبيرا ليغيروا على المسلمين على حين غرة منهم؛ فأعلن الرسول صـلى الله عليـه وسلم الجهاد وأعد جيشا من المسلمين ليطفئ نيران الفتنة في عقر دارها، وليلقن بني المصطلق درسا فيعلموا بأن المسلمين ليسوا لقمة سهلة يطمع فيها كل من هب ودب، وليكون درسا لغيرهم من الأعداء.

وكانت من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقْرِع بين أزواجه في أسفاره، فمن خرجت القرعة باسمها خرجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فخرجت القرعة هذه المرة باسم عائـشة رضي الله عنها، فخرجت ترافق الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة إلى الجهاد.

وفي الرجوع إلى المدينة توقف الركب للراحة في مكان ما، وابتعدت عائشة رضي الله عنها عن رحلها لقضاء حاجتها؛ لكنها أضاعت عقدا لها وبقيت تبحث عنه، فتأخرت عن القافلـة، ولمـا وصلت وجدت القافلة قد غادرت المكان فعرفت أ م لم يكونوا يعرفون عن غيا ا، وأ م عنـدما يدركون أ ا ليست في رحلها سيبعثون وراءها، فجلست في مكا ا وتغطت بخمارها تنتظرهم.

وكان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم دائما أنه يؤخر رجلًا يتابع مسيرة القافلة، فـإن كان أحد نسي شيئًا أو سقط منه شيء أحضره، وفي هذه الرحلة وكِّلت هذه المهمة إلى الصحابي الجليل: (صفوان بن المعطل السلمي).

لما رجع صفوان إلى مكان القافلة شعر بوجود شيء هناك، فلما اقترب عرف أ ا امرأة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.. فقرب إليها ناقته وأناخها، ولم ينطق بشيء، وأركب عائشة على راحلته وأمسك بزمام ناقته وتابع مسير الجيش إلى أن وصلا إليهما؛ فاستغل المنافقون هذه الواقعة وبدؤوا يبثون سمومهم، فصنعوا حكاية الإفك، فقالوا: رجل شاب وامرأة شـابة؟! فرمـوا أم المـؤمنين الصديقة والصحابي الجليل صفوان بالزنا، وحاشاهما رضوان الله عليهما من هذا الإفك الكبير، وفي هذا الامتحان الصعب نجح المسلمون كلهم، ما عدا ثلاثة منهم.

وأما المجتمع الإسلامي الذي تربى على يد الرسول صلى الله عليه وسلم فبقي معتزا بأخلاقه، لم ينطق بشيء من الطعن أو الافتراء أو القذف في المحصنات الغافلات، وإنما ظل يدافع عن عـرض الرسول صلى الله عليه وسلم، وينتظر حكم الله عز وجل ورسوله.

وظل الامتحان الإلهي الصعب شهرا كاملًا يمحص المجتمع الإسلامي والنفوس المؤمنـة الـتي عاشت فترة حرجة مضطربة حزينة إلى أن جاء الفرج ونزلت آيات الـبراءة في سـورة النـور، فانكشفت الغمة عن النفوس، وانشرحت الصدور، بعد شهر كامل قضاها المجتمع الإسلامي وهو في تلك الحالة الحرجة، فنزلت الآيات «١١» إلى «٢٦» من سورة النور تشهد ببراءة أم المـؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وبقي أناس من أحفاد عبد الله بن أبي رئيس المنافقين وصاحب الإفك اللعين يثيرون الـضغائن والافتراءات على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى اليوم، ويتطاولون بألسنتهم النجسة علـى مقام أمّنا الطاهرة العفيفة.

ويعتبرون اسم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شتيمةً وقبحا لأنفسهم؛ وينكرون هذه الآيات الصريحة من كلام الله عز وجل، ويجلبون لأنفسهم العذاب الإلهي الشديد واللعنة الأبدية!

ونحن ننتظر ذلك اليوم الذي تشهد ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم على كذبهم ثم يلقون في نـار جهنم جزاءً بما افتروه على الطاهرة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

وهنا أورد الآيات التي نزلت في هذه الواقعة دون تعليق عليها، وأُرجع الأمر إلى القـارئ الكـريم ليحكم بنفسه: قال الله تعالى: ((إِن الذِين جاءُوا بِالإِفْكِ عصبةٌ مِنكُم لا تحسبوه شرا لَكُم بلْ هو خير لَكُم لِكُل امرِئٍ مِنهم ما اكْتسب مِن الإِثْمِ والذِي تولى كِبره مِنهم لَه عذَاب عظِيم * لَولا إِذْ سمِعتموه ظَن الْمؤمِنونَ والْمؤمِنات بِأَنفُسِهِم خيرا وقَالُوا هذَا إِفْك مبِين * لَولا جاءُوا علَيهِ بِأَربعةِ شهداءَ فَإِذْ لَم يأْتوا بِالشهداءِ فَأُولَئِك عِند اللهِ هم الْكَاذِبونَ * ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورحمته فِي الدنيا والآخِرةِ لَمسكُم فِي ما أَفَضتم فِيهِ عذَاب عظِيم * إِذْ تلَقونه بِأَلْسِنتِكُم وتقُولُونَ بِأَفْواهِكُم ما لَيس لَكُم بِهِ عِلْم وتحسبونه هينا وهو عِند اللهِ عظِيم * ولَولا إِذْ سمِعتموه قُلْتم ما يكُونُ لَنـا أَنْ نتكلم بِهذَا سبحانك هذَا بهتانٌ عظِيم * يعِظُكُم الله أَنْ تعودوا لِمِثْلِهِ أَبدا إِنْ كُنتم مؤمِنِين * ويبين الله لَكُم الآياتِ والله علِيم حكِيم * إِن الذِين يحِبونَ أَنْ تشِيع الْفَاحِشةُ فِي الذِين آمنوا لَهم عذَاب

أَلِيم ِفِي الدنيا والآخِرةِ والله يعلَم وأنتم لا تعلَمونَ * ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورحمت ـه وأن الل ـه رؤُوف رحِيم * ياأَيها الذِين آمنوا لا تتبِعوا خطُواتِ الشيطَانِ ومن يتبِع خطُواتِ الشيطَانِ فَإِنه يأمر ِبالْفَحشاءِ والْمنكَرِ ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورحمته ما زكَا مِنكُم مِن أَحدٍ أَبدا ولَكِن الله يزك ـي من يشاءُ والله سمِيع علِيم * ولا يأْتلِ أُولُوا الْفَضلِ مِنكُم والسعةِ أَنْ يؤتوا أُولِي الْقُربى والْمساكِين والْمهاجِرِين ِفي سبِيلِ اللهِ ولْيعفُوا ولْيصفَحوا أَلا تحِبونَ أَنْ يغفِر الله لَكُم والله غَفُور رحِيم * ِإن الذِين يرمونَ الْمحصناتِ الْغافِلاتِ الْمؤمِناتِ لُعِنوا ِفي الدنيا والآخِرةِ ولَهم عذَاب عظِيم * ي ـوم تشهد علَيهِم أَلْسِنتهم وأَيدِيهِم وأَرجلُهم ِبما كَانوا يعملُونَ * يومئِذٍ يوفِّيهِم الل ـه دِي ـنهم الْح ـق ويعلَمونَ أَن الله هو الْحق الْمبِين * الْخبِيثَات ِللْخبِيثِين والْخبِيثُونَ ِللْخبِيثَاتِ والطيب ـات ِللطي ـبِين والطيبونَ ِللطيباتِ أُولَئِك مبرءُونَ مِما يقُولُونَ لَهم مغفِرةٌ ورِزق كَرِيم)) [النور:١١-٢٦].

ثم أضاف الخطيب وقال: يا من تزعمون بأنكم شيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وشيعة أهل بيته، وتقذفون أم المؤمنين زوجة الرسول الكريم وحميراءه رضي الله عنها بالزنا، وتفترون عليه ـا الكبيرة والفحشاء، إذا كنتم صادقين فيما تزعمونه فيجب أن تجيبوا على هذين السؤالين:

السؤال الأول: هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم طاهرا أم لا؟

فإن كنتم تقولون بطهارة الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب أن تقروا بطهارة أم الم ـؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وذلك لأن التاريخ يشهد وأنتم كذلك لا تستطيعون إنكاره بأ ا كانت زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وظلت وفي عصمة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعل ـى، فطهار ا وعفتها ترجع إلى طهارة الرسول صلى الله عليه وسم وعفته؛ لأ ا كانت عرض الرسول صلى الله عليه وسلم.

السؤال الثاني: وإن كنتم تزعمون - والعياذ بالله - أ ا لم تكن طاهرة، فكيف تواجهون كلام الله عز وجل؟

فما تقولونه لا يخرج عن أمرين: إما أن تنكروا تلك الآيات الصريحة من كلام الله عز وج ـل، وإما أن تنكروا طهارة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتم ذا أو بذاك لم يبق لكم من الإيمان حبة خردل، وتخرجون من الإسلام كما يخ ـرج

السهم من الرمية، فإن شروط الإيمان: أن تصدقوا القرآن الكريم وتخضعوا أمامــه، وأن تـصرحوا بطهارة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وتعترفوا بطهارة زوجته الطاهرة العفيفــة أم المــؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها.

وها أنتم أحرار، اختاروا ما تشاءون إما الإقرار والإيمان وإما الضلالة والعصيان.

وبعد هذه المحاضرة العلمية القوية قام أحد العلماء في المسجد النبوي وتحدث عـن فـضائل ومناقب الخلفاء الراشدين، وبين بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة على أ ـم كـانوا أفـضل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الله عز وجل قد بشرهم بجنات عدنٍ تجري من تحتها الأ ار ثوابا من عند الله على حسن إسلامهم وجميل مناقبهم وثبا م.

إن هذه الرحلة التي كانت لحج بيت الله عز وجل كانت بالنسبة لي رحلة ممتعة ثرية، حصلت على علم غزير فيها، وأُزيلت من أمام عيني كثير من الشبهات وكثير من ستائر الحجب والتعصب الأعمى التي كانت تخيم على مجتمعاتنا في بلاد الرفض والنفاق (إيران).

السفر إلى سورية
ومدينة السليمانية في العراق

تلك الرحلة التي قمت ا إلى بلوشستان أحدثت في انقلابا عجيبا وزادتني عطشا على عطش لمعرفة المزيد عن عقائد السنة ومعتقدا م..

كنت أعيش توترا نفسيا وفكريا عجيبا، أدقق في كل شيء، أحاول أن أدرسه من كل جوانبه قبل أن أعتنقه، فلم أعد ذلك الإنسان العاطفي الذي يصدق كل شيء يقرؤه دون تمعنٍ وتفكر.

وبعد دراسة عميقة ومراجعة لما حصلت عليه من الحقائق وصلت إلى أنه لم يبق أمامي إلا أن أترك ما أنا فيه من المفاهيم الخاطئة والعقائد الكاذبة والضلالات وأنسلخ من مـذهبي الـشيعي، وأعتنق الحقائق الثابتة وألتحق بالركب السني الكبير المبارك.

هذه التغييرات الفكرية والعقدية، وهذا التحول من إنسان خرافي إلى إنسان موحد كـان ولا بد أن يظهر آثاره في أخلاقي وتصرفاتي وتعاملي مع الناس وا تمع، فما طرأ علي من التغـييرات جعلت أسرتي وأصدقائي وزملائي في الجامعة، وأساتذتي - ولاسيما أعضاء اللجنـة الدعويـة في الجامعة - يهتمون بما يظهر مني، ويتابعون كل حركاتي وسكناتي ليكشفوا ما يدور في خلجـات قلبي وصدري..

كانت الامتحانات على الأبواب، ومع أنني كنت من الطلاب المتفوقين في الدراسة إلا أني لم أعد أرغب في المذاكرة والاهتمام بالدراسة، فقد كنت أعيش مع أفكاري ومشاعري الخاصة.

كنت أتحرك في الجامعة وأروقتها وفصولها ومكتبا ا بجسمي لكن روحي كانت تطير في أجواء عالية من البحث عن الحقيقة الخافتة خارج الجامعة..

وبعد فترة الامتحانات وتراجعي في الدراسة أدرك الأساتذة ما أعانيه من المشاكل والتـوترات الروحية والانفصام في الشخصية، وشعروا بأن شخصيتي بدأت تتغير، فلم أعـد ذلـك الطالـب النشيط المرح، وأصبحت أحبذ العزلة والابتعاد عن الناس، فشعروا بشيءٍ ما يدور في داخلي مـن التوتر والاضطراب، فاتصلوا بأسرتي وأخبروهم بما أعانيه من الاضطرابات النفسية؛ حرصا منهم أن

يصلوا إلى حلٍ لهذه المشكلة.

وبما أن اهتماماتي لم تكن تنحصر في الجامعة أو الدراسة بل كانت تدور خارج هذا النطـاق الضيق في دائرة أوسع بكثير لم يستطع أساتذتي ولا أسرتي أن يصلوا إلى حلٍ لها، ولم يستطيعوا أن يرشدوني إلى شيء.

في هذه الأجواء المتوترة، وهذه الاضطرابات الروحية سنحت لي الفرصة للـسفر إلى سـورية برفقة قافلة الزائرين للأماكن المقدسة، فقررت السفر إلى هناك عسى أن أجد شيئًا أكثر مما أبحـث عنه في كل مكان، على رغم أن موعد امتحانات اية الفصل كان قـد اقتربـت ودرجـاتي في امتحانات منتصف الفصل لم تكن جيدة.

السفر إلى سورية

لا أدري كيف رتبت الأمور ومن أين جاءت الفكرة.. كل ما أذكره هو أن الأسرة قررت أن أرافق جدتي - والدة والدي - في سفرها إلى زيارة الأماكن المقدسة، وزيارة المرقد المطهر للسيدة زينب عليها السلام، ففرحت ـذا الأمر جدا، وشعرت بأن هذه الرحلة ستنفعني من جهتين:

الأولى: الابتعاد عن جو الجامعة والدراسة - ولو لفترة قصيرة - لعلي أستطيع أن أرتاح نفسيا في ابتعادي عن رؤية تلك النظرات المريبة وتلك الوجوه الكالحة وتلك الأجواء القاتمة.

والثانية: أن أجد فرصة أخرى - ولو قصيرة - لآخذ فيها نفسا آخر في البحث عن أصـول المذهب السني ومعرفة جوانب أخرى من مسائله الاعتقادية، فهذا السفر إلى سورية سوف يفتح لي آفاقًا معرفيةً أخرى أستطيع من خلالها أن أستزيد بحثًا وتحقيقًا فيما أنا بصدده.

وكان من حسن حظي كذلك أن صديقي الحميم «علي رضا محمدي رحمه الله» كان يرافقنا في هذا السفر.

وفي أول ليلة لنا في هذا البلد حدثت لي حكاية لم تكن مهمة، لكنها كانت لطيفة بالنسبة لي وهي أننا وجدنا مجموعة من النساء الإيرانيات في إحدى المحلات الراقية في المدينة يتشاجرن مـع صاحب دكان، ويبدو أ ن اشترين شيئًا لم يعجبهن ثم أردن إرجاعه، فتـدخلنا نحـن وحللنـا المشكلة.. هذه الحكاية البسيطة أصبحت سببا في أن نعقد نوعا من الصداقة مع صاحب المحل الذي أُعجب بنا.

ولابد أن أشير هنا بما أنني - أنا وصاحبي علي رضا محمدي رحمه الله - كنا من العلماء عنـد الشيعة فقد وضعونا على رأس هرم المسؤوليات في القافلة، فكـان ولابـد أن نـشترك في كـل المحاضرات وا الس المذهبية والبرامج المُعدة حتى نشير إلى الزوار بما ينبغي عليهم، وأي تـأخير في هذه البرامج أو أي تكاسل منا كان يسبب غضب المشاركين والزوار ولاسيما جدتي التي لم تكن تستطيع أن تتحمل أي تقصير منا في هذه الجوانب التعبدية!

استطعنا من خلال صديقنا الجديد - صاحب المحل - أن نتعرف على أحد مـشايخ الـسنة

هناك، وقلنا له بأننا كُنا من الشيعة وقد هدانا الله عز وجل إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وحضرنا هنا لا لشيء، وإنما لمزيد البحث والدراسة؛ لكن الشيخ عبد الله لم يصدقنا، ونحن كذلك لم نكن نتنازل عن موقفنا..

عدنا إليه مرة تلو أخرى نحاول أن نقنعه لكن دون جدوى، حتى اضطررنا أن نضع أيدينا على المصحف ونحلف له على صدقنا، وكل هذا لم يغير موقف الشيخ عبدالله تجاهنا، بل قال: الشيعة لا يؤمنون بالقرآن، فكيف لي أن أصدقكم؟!

لكننا لم نكن نستطع أن ننكر عليه ذلك، ولا أن نتنازل عن موقفنا حتى استطعنا في النهاية أن نقنعه إلى حد ما، وظللنا نتردد عليه في تلك الأيام القليلة التي كنا هناك، نناقشه فيما يطرأ علينا من الشبهات والمشاكل.

كان الرجل بحرا في العلم لا ساحل له، وآية في القرآن حفظًا ومدارسة وبحثًا لم نجد له مثيلًا إلا الشيخ الذي تشرفنا بزيارته في بلوشستان، ومع أن الشيخ عبد الله كان عربيا، لكنه كان يجيد اللغة الفارسية جيدا.

قال لنا: بأنه قضى سنتين من عمره في السجون الإيرانية وذلك بسبب مواقف له مع علماء الشيعة ومناظراته لهم.

وقال بأن الاستخبارات الإيرانية حاولت اغتياله، لكن محاولتهم باءت بالفشل ولم تصبه رصاصاتهم والحمد لله رب العالمين.

وكنا نستمتع بالحديث مع الشيخ عبدالله، وانشغلنا به عن سائر برامجنا في ذلك الأسبوع، ولم نكن نرغب في المشاركة في البرامج المُعدة من قبل إدارة القافلة كزيارة القبور وما إلى ذلك، بل أصبحنا نكره المشاركة فيها.

تفاجأت بأن مسؤولي القافلة اختاروني لقراءة دعاء كميل على مرقد «السيدة زينب عليها السلام» وقد كنا وصلنا من خلال دراستنا في مذهب أهل السنة إلى أن الاستعانة يجب أن تكون بالله وحده، ولا ينبغي للمسلم أن يسأل غير الله عن حاجاته ويدعو غيره سبحانه وتعالى، وأن السؤال من الأشخاص والرموز الدينية مهما علا شأنهم خلاف للشرع المبين، وباب من الشرك يخرج من الدين، فلم يرق لي أن أشارك في هذا البرنامج، فاعتذرت عن قراءة دعاء كميل هناك..

هذه الأيام القلائل التي قضيناها في سورية ومجالسنا ومناظراتنا مع الشيخ عبد الله أحدثت فينا ثورة روحية وتحولًا عقديا لم نجده في أنفسنا قبل ذلك، فقد تغير كل ما كُنا نعتقده رأسـا علـى عقب، وكأننا أصبحنا أُناسا آخرين.

السفر إلى كردستان

مدينة سنندج الإيرانية ومدينة السليمانية العراقية

بعدما رجعنا من سورية اتفقت مع صاحبي علي رضا محمدي رحمه الله أن نخرج إلى سفر آخر عن طريق كردستان (مدينة سنندج) إلى مدينة السليمانية في العراق.

كانت الامتحانات قد اقتربت وكاد الفصل الدراسي أن ينتهي، لكننا كنا نعيش في أجواء غير أجواء الدرس والجامعة والامتحانات.

سافرنا إلى «سنندج» ومن هناك إلى منطقة «مريوان» لكن مع الأسف سرق ما كنا نحمله من المال لنتزود به في سفرنا هذا، فاضطررنا أن نعود إلى طهران، ففشلت هذه المحاولة.

وبعد ما أكملنا الاختبارات، عدنا نفكر في السفر إلى مدينة «السليمانية»، واستطعنا أن نذهب إلى سنندج ومن هناك إلى «مريوان» وندخل «السليمانية» في العراق عن طريق التهريب، الحدود غير الرسمية.

وكانت مدينة «السليمانية» من أهم مراكز منظمة «مجاهدي خلق» المعارضة للحكومة الإيرانية، فبمجرد وصولنا إلى هناك استطاعوا أن يكشفوا أمرنا، ورحبوا بنا كطلاب هربنا من بطش السلطة الإيرانية، وطلبوا منا أن ننضم إلى جماعتهم. لكننا كنا نحمل مبادئ أخرى، ونبحث عن شيء آخر غير ما يبحثون هم عنه، وكان طريقنا وأهدافنا غير طريقهم وأهدافهم، فاعتذرنا منهم ورفضنا كل ما اقترحوه علينا..

وتعرفنا في أيام وجيزة على بعض علماء السنة الإيرانيين ممن هاجروا إلى هناك أمثال: «الشيخ إبراهيم» و«الشيخ عبد القادر» وقد كانوا في بداية أمرهم يرفضون اللقاء بنا، والاستماع إلينا، لكننا كنا نتشبث م ونصِر على مواقفنا، وفي النهاية بعد الحلف والقسم استطعنا أن نقنعهم إلى حد ما، فقد كانوا يرفضون أن يتحدثوا عن المسائل العقدية في مذهب أهل السنة والجماعة.

قضينا أربعة أيام حافلة بالبحث العلمي والدراسة الجادة والمناقشات الثرية والمفيدة مع هؤلاء الكِرام، ولم يبق أمامنا أية شبهة، لذا اقتنعنا أننا كنا على ضلال مبين، وأن الحق هو ما يعتقده

هؤلاء الناس، وأنه يجب أن نرمي تلك الأوهام والأفكار التي ملأت عقولنا وقلوبنا، وظننا بأ ا هي العقيدة السليمة والدين المبين وأن نعتنق العقيدة الجديدة: عقيدة أهل السنة والجماعة..

رجعنا إلى طهران وإلى الجامعة وأعلنا على الملأ دون خوف ولا وجل أننا أصبحنا من أهـل السنة والجماعة، وأننا تبنا إلى الله عز وجل مما كنا نعتقده من الضلالات والأوهام.

وهنا لا بد أن أذكر شيئا آخر وهو: عند رجوعنا من العراق كنا في «مريوان» وكنا قد بتنـا في إحدى القرى الحدودية، وفي منتصف الليل صرخ صاحبي علي رضا وقام من نومه مـذعورا في حالة عجيبة، وكان خائفًا مضطربا يرتجف ويتصبب عرقًا، وقمت أنا كذلك خائفًـا مـستغربا أسأله: ماذا حدث لك؟ فبدأ يصرخ ويقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم في المنـام. فسألته مستغربا: ماذا رأيت؟ فأجابني: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالسا في جمع من أصحابه، فقال لهم: أخبروا حبيبي ليحضر عندي، ورأيت بعد قليل «الشيخ»[1] ومـن شـدة الحيرة شعرت وكأنه أغمي علي، ولما عدت إلى حالي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قـدم مصحفًا وقلما ودفترا للشيخ وانصرف، فتبعته وقلت له: يا رسول الله! هل أنا من أمتك؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرخ في وجهي غاضبا: ليست الشيعة من أمتي.

بعد هذا المنام في تلك الليلة البهية زدنا إيمانا على أننا كنا على باطل، وعاهدنا ربنـا علـى الرجوع عما كنا فيه، وعلى التمسك بحبل الله المتين ودينه القويم مذهب أهل الـسنة والجماعـة المبين، ومن ذلك اليوم بدأنا نؤدي صلواتنا على طريقة أهل السنة والجماعة.

وفي طهران شعر الناس بما طرأ علينا من التحولات والتغييرات في حركاتنا وسكناتنا وكلامنا، فبدأنا نستقبل ألوانا من سوء التعامل والضغط من اللجنة الدعوية في الجامعة، وكانت كلها بمثابـة ردود أفعال على مواقفنا.

وبدأ الأساتذة والطلاب في الجامعة يسخرون منا ويحتقروننا، ويـسمعوننا بعـض طعنـهم وشتائمهم: السني.. الوهابي.. أعداء أهل البيت و.. و.. و..

---

(١) أي الشيخ الذي ذهبوا إليه في بلوشستان وهو الشيخ محمد عمر سربازي المعروف بشيخ الجبال، شـيخ كـبير يقـارب الثمانين من عمره، من خريجي جامعة الديوبند بالهند، وله مؤلفات كثيرة.

هذا ما وصلت إليه من خلال تتبعي لسيرة المؤلف، من بعض الإخوة البلوش الذين ساعدوا الشهيد مرتضى رادمهر - المؤلـف - في باكستان، وكان مقيما عندهم. (م)

لا يستطيع قلمي أن يصور ما كنا نعانيه من الضغوط النفسية في تلك الأجواء، فقد نبذنا المجتمع وأصبحنا وحيدين نعيش في عالم كبير يكرهنا إلى جذوره، عسى أن يخلعنا من جذورنا.

لم يكونوا يدركون أننا لم نصل إلى ما نحن فيه بين عشية أو ضحاها، وإنما وضعنا حياتنا وأرواحنا ثمنا لما وصلنا إليه من الحق، الذي وهبه الله لنا وتفضل علينا به، ثم بالبحث والدراسة والتأمل في القرآن الكريم والتاريخ، ولم نعد نخاف في الله لومة لائم، ولا يمكن أن تزعزع أفكارنا وعقائدنا تلك الضغوط والمؤامرات.

كنا نستقبل كل تلك الضغوط وتلك الطعونات بقلوب راضية بما يقدره الله عز وجل، فنصبر على ذلك ونحتسب ونشعر برضى في قلوبنا وسعادة لا توصف.

وبعدما أعلنا عن عقيدتنا حرضنا طلاب السنة الذين كانوا يدرسون في الجامعة وكانوا قرابة خمسة عشر طالبا، وبدأنا نقيم صلاة الجماعة في الجامعة.

وبلغ بنا الحماس والاعتزاز بما نحن عليه من الحق أن كتبنا في إحدى الأيام على السبورة «ليس التشيع إلا مذهب الخدعة والمكر والأوهام»، وكتبنا تحته: «ورمز الإسلام ليس إلا العشق لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وطريقته ومنهجه في الحياة، ومذهب أهل السنة والجماعة يعني: العمل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم».

مثل هذه المواقف العاطفية والحماسية منا خلقت جوا متوترا ومضطربا في المجتمع الجامعي، وصل الأمر بالإدارة إلى أن أعلنت بأنها لن تسكت على هذه الحركات المشبوهة، وأنها لا تستطيع أن تتحمل مثل هذه المواقف في الجامعة.

وفي هذه الأيام ونحن نستعد لامتحانات نهاية الفصل الدراسي قررنا - أنا وصاحبي علي رضا محمدي رحمه الله - أن نسافر إلى مدينة «مشهد».

السفر إلى مدينة مشهد

أردنا أن نبتعد عن الأجواء المضطربة والسيئة التي كانت مسيطرة على الجامعة في تلك الأيام، فقررنا السفر إلى «مشهد»..

بعد يوم أو يومين من وصولنا إلى «مشهد» ذهبنا إلى مكان «مسجد شيخ فيض محمـد»[1] لأهل السنة الذي هدمته الحكومة وأقامت مكانه حديقةً عامةً للتنزه.

وجدنا هناك شابا سنيا من منطقة «خواف» كان يلبس زي منطقته، ودون معرفـة سـابقة ودون مقدمات بدأنا نتحدث معه عن المسجد وعن أسباب تخريبه وعن نوايا الحكومة في القـضاء على الأقلية السنية، وتذويبهم في المجتمع الشيعي.

كنا نشعر تجاه المسجد بحنين خاص وذلك لأننا - أنا وصاحبي علي رضا محمدي - كنا يوم أن خربوا المسجد طلابا ندرس في حوزة «نواب صفوي» العلمية في «مشهد»، ورأينا بأم أعيننـا كيف تجمعت الأقلية السنية في الشارع العام أمام بناية البنك المركزي في مشهد، وكانوا قد فرشوا عمائمهم على الشارع ليصلوا عليها، وكانوا يبكون بكاء المرأة الثكلى ويسكبون الدموع ويرفعون عويلهم إلى السماء على فقدان مسجدهم، لكن دون جدوى..

فقد كانت الجالية السنية في (مشهد) تعيش مأساة لم تعشها في تاريخها، فقد سـلبوا منـهم مركزهم التبعدي الوحيد الذي كان يجمعهم وكانوا من خلاله يتعارفون، وفي رحابـه يرفعـون أكفهم إلى خالقهم يدعونه ويتضرعون أمامه..

خرجت الجالية يومذاك عن بكرة أبيها في الشوارع شباب وشيوخ، صغار وكبار، يلبـسون ملابس قديمة بالية كالأيتام على موائد اللئام!

كان أحد الطلاب من منطقة «تقي آباد» يقول: رأيت ذات يوم رجلًا عجوزا يمشي متـذللًا

---

(١) «مسجد شيخ فيض» كان المسجد الوحيد لأهل السنة في «مشهد» يرجع تاريخ بنائه إلى بضعة قرون، وكـان المركـز التبعدي الوحيد الذي يجمع أهل السنة في هذه المدينة ويحفظهم من الضياع والذوبان في المجتمع الشيعي الكـبير، دمرتـه الحكومة في (١٩٩٤/١/٣م) الموافق لـ (٢٣/رجب/١٤١٤هـ).

مسكينا، يلبس ملابسا ممزقة، فتقدمت إليه وأردت أن أقدم له شيئًا من الطعام.

نظر العجوز إلي والدموع تنهمر من عينيه، فقال لي بصوت حزين خافت: يا بـني! دمـروا مسجدنا.. غص بالحسرة فسكت لحظة ليصرخ بعدها: خربوا بيت الله ملأ الله بيـوتهم وقلـوبهم نارا.. وتريدني أن آكل الطعام.. لا طعام بعد اليوم، وما قيمة الحياة بعد بيت الله؟!

صورة العجوز وحالته الرثة كانت تجرح كل قلب فيه ذرة من الرحمة.. كانت كافية لتجعـل كل إنسان حر في قلبه ذرة إيمان أن يتفاعل معه..

بعد الحديث عن مسجد «شيخ فيض» مع ذلك الشاب ومراجعة تلك الأيام العصيبة والخواطر المؤلمة جرنا الكلام إلى الحديث عن مكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن كثيرا من الجهال ينسبون إليه الكثير من الكذب والخرافات، فيهينونـه ويحرفـون شخـصيته دون أن يشعروا، ويقدمونه وكأنه أسطورة خرافية لا محل له من الحقيقة وليس رجلا يمكن اتباعه.

ونحن نتحدث عن مناقب سيدنا علي عليه السلام ومكانته في الإسلام إذا برجل عجوز كـان يجلس على مقربة منا ويلبس عمامة خضراء - ولعله كان ممن يزعم نفسه سيدا - ظنا منه أننا من السنة وأننا نطعن في مقام الإمام علي عليه السلام، فرمانا بحجر كبير أصـاب رأس علـي رضـا محمدي وجرحه جرحا عميقًا وبدأ الدم يتدفق منه..

بعد هذا السفر الذي دام يومين رجعنا إلى طهران..

ا ينا هذا الفصل الدراسي، ونجحنا فيه بدرجات لا بأس ا.

وبعد خمسة أيام فقط طلبونا إلى اللجنة الدعوية، وطلبوا منا أن نقدم توضيحا كاملًا عن أعمال الشغب التي ارتكبناها، فكان هذا الموقف بداية الصراع المباشر وأحداث الفصل العاشر الجامعي..

بداية الفصل الجديد والأحداث الجديدة..

عدنا من مدينة «مشهد» وبدأنا في إجراءات التسجيل في الجامعة، وبدأ الفـصل الدراسـي العاشر.

ذات يوم استدعيت أنا وصاحبي علي رضا محمدي إلى مكتب اللجنة الدعوية في الجامعة.

ذهبنا إلى مكتب اللجنة فوجدنا هناك رئيس اللجنة وأعضاء ا لس العلمي في الجامعة، وإمـام مسجد الجامعة، وبعد الجلوس والتعارف وا املات المعروفة إذا برئيس اللجنة الدعويـة يخاطبنـا بشدة ويقول: اصدقوا، ولا تحاولوا إنكار الحقائق وتجاهل ما يجري في الجامعة، من الذي ضـحك على عقولكم وحرف أفكاركم وسبب لنا هذه المشاكل والاضطرابات في البيئة الجامعية - كـان يقصد الشعارات التي كتبت على السبورة - اكشفوا عن حقيقة الأمر أمام الجميع؟

تحدث السيد «الحسيني» بإسهاب عن مسائل كثيرة ثم عاد ليكرر: احكوا لنا الحكاية كمـا حدثت، لعلنا نستطيع أن نحل المشكلة قبل أن تكبر وتصل إلى الأماكن الخطيرة - كـان يقـصد المخابرات - فنحن أولى أن نعرف مشاكلنا ونحلها دون أن تتدخل في شؤون الجامعـة الجهـات الثانية، فذلك لا يليق با تمع الجامعي والعلمي.

كان المسؤولون يحاولون بالإشارة أو الكناية أن يظهروا لنا بأن قضية تغييرنا للمذهب وانتقالنا من التشيع إلى أهل السنة والجماعة لا يهمهم كثيرا، فالأمر يتعلق بنا، ولكنهم في دائرة واجبـات اللجنة الدعوية لابد أن يعرفوا أسباب التوترات والاضطرابات التي بدأت تفسد النظام في الجامعة، وكانوا يقولون بأ م لا يتابعون القضية ولا يهمهم إلا من هذا الباب.

لكننا أدركنا الأمر جيدا، فلم تكن هناك أية اضطرابات ولا تشويش في ا تمـع الجـامعي، وكانت الأمور تجري على ما كانت، ولم نكن قد أحدثنا أية مشاكل بين الطلاب، ولم نثِر أيـة اضطرابات ولا انقلابات طلابية.

كنا نشعر جيدا بأن مسؤولي اللجنة الدعوية وإدارة الجامعة حزنوا جدا على تحولنا من التشيع إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الأمر هو الذي يهمهم لا غير، وهذا هو الـذي جعلـهم

يثورون بهذا الشكل ويحاولون لم شمله عسى أن يعيدونا إلى ما كنا فيه، لكننا أفهمناهم بأنه هيهات هيهات لما توعدون!!

مع هذا كله وضحنا للسيد «الحسيني» والحضور أننا لم نغير مذهبنا إلا بعد دراسة وبحث وبعد اعتقاد جازم، فليست هناك مؤامرات ولا أيادٍ خفية تخطط لتضليلنا وراء (الكواليس)، وإنما هي مشيئة الله وفضله وحكمته التي أدركتنا ونحن في ظلمات بعضها فوق بعض، فأخذت بأيدينا، رحمة منه سبحانه وتعالى بنا، وهي التي حملتنا إلى نور الإيمان.

لكن السادة كانوا يحاولون تهديدنا ويقولون: انتبهوا، إذا لم تكشفوا حقيقة الأمر ولم تعترفوا بالحقائق والأيادي المجرمة فسوف تخرج الأمور من أيدينا وتنتقل المسألة إلى المخابرات، ثم لا نستطيع أن نفعل شيئًا.

لم يرتح السادة لكلامنا، وفي نهاية الجلسة قدم رئيس اللجنة الدعوية قلما وورقة إلى السيد علي رضا محمدي رحمه الله، وقال له: اكتب بأننا أخطأنا ولن نعود إلى مثل هذه الأخطاء أبدا.

فأخذ السيد محمدي الورق والقلم وكتب: لم نرتكب أي خطأ إلى الآن، اللهم إلا خطًا واحدا وهو أننا أصبحنا نعشق دين الله عز وجل، ونريد أن نكون من الموحدين لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين.

قدم الورقة إلى السيد الحسيني، فثار السيد الحسيني غضبا وحقدا أكثر من ذي قبل بعد قراءة الورقة، ثم قام وأخرجنا من مكتب اللجنة الدعوية.

وبعد بضعة أيام من هذا الحديث، كنا نقف مع مجموعة من الزملاء في ساحة الجامعة، وإذا بسيارة من سيارات المخابرات المعروفة وقفت أمام الجامعة.

نزل منها رجلان دخلا الجامعة، ودون سؤال أو جواب أخذا بيدي وبيد السيد محمدي وأرادا أن يرغمانا على ركوب السيارة.

بدأنا نتشاجر معهم ونقاومهم، فاعتبر الطلاب هذا الموقف إهانةً للطلاب وللجامعة؛ فتجمعوا حولنا وكادوا يتضاربون مع الجنود.

لكن الجنود اعتذروا وقالوا بأنه ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم موظفون يجب أن يؤدوا ما أُمروا به، وبعد نقاش طويل ركبنا معهم السيارة وذهبنا إلى المخابرات.

وكان مما أفسد الجو الجامعي أكثر أن رجال المخابرات سبق وأن قبضوا على طالب سني مـن أهل «جرجان»(١) كان يسمى «محمد رضا موسايي»، وكان هو الطالب النموذجي المتفوق دائما في كلية الطب في الجامعة، كان زميلًا لنا في الفصل العاشر، وكان يؤدي صلواته معنا جماعة.

ويبدو أنه نقل إلى المخابرات في نفس اليوم أو بعدنا بعدة أيام، أو قبلنا ببضعة أيام.. لا أذكـر جيدا.

أول ما وصلنا إلى المخابرات ربطوا أعيننا ونزعوا ملابسنا وألبسونا زي السجناء، ونقلوا كل واحد منا إلى سرداب فردي.

كان جو السجن مظلما ومخيفًا جدا أكثر بكثير مما كنا نتصوره.

بعد فترة شعرنا أ ا كانت طويلة جدا، أخذونا إلى مكتب الرئيس أو شخص آخـر كـانوا ينادونه «الحاج».

بدأ «الحاج» يتحدث يمينا وشمالًا ويحاول أن يذكرنا بما قمنا به من الجرائم والخلافات، ويقرأ على آذاننا الا امات التي ا منا ا، وأخيرا طلب منا أن نخبره بمن كان سببا في ضلالنا.

وبما أننا لم نكن نعرف سببا لهدايتنا غير المشيئة الإلهية ورحمته تعالى بنا، قلنا له بأن الأمر أولًـا وأخيرا يرجع إلى الله عز وجل وإلى لطفه ورحمته بنا.

وأن انتقالنا من التشيع إلى مذهب أهل السنة ليس وراءه عاملٌ أو سبب غير أننا درسنا الأمـر بتمعن وتعقل مدة طويلة، وناقشنا في الأمر أناسا كثيرين، ودرسنا في الموضوع كتبا كثيرة إلى أن هدانا الله عز وجل للحق المبين.

لكنه كذّبنا فيما نقوله واعتبر كلامنا كله نوعا من الهروب عن الحقيقة.

قال لنا في وقاحة وتبجح وتكبر لا يوصف: أنا الآن قاضيكم، وأنا الآن ربكم والعياذ بالله إذا صدقتموني في الحديث أستطيع أن أساعدكم، وبغير هذا أستطيع أن أفعل بكم ما أشاء، واعلمـوا أنني لن أرحمكم.

ما كان «الحاج» يتوقع أن أمامه يجلس رجل بشجاعة السيد محمدي، فتحدث المحمدي بكلام

---

(١)گرگان.

في غاية الشجاعة والرجولة، وكان حقًا أفضل مني شجاعة وبسالة لا يخاف في الله لومـة لائـم، فغضب «الحاج» على علي رضا فثار في وجهه ولطمه لطمة شديدة، وبدأ يـصرخ كـا نون: أعرف كيف أخرج الحقيقة من حناجركم؟! هل تتصورون أننا جئنا بكم هنا للوليمة، أو لنقـدم لكم الحلوى؟!

لما عجز الحاج أن يحصل منا على شيء، ووجد السيد محمدي يقاومه ذه الصراحة والشجاعة حاول أن يجرب أسلوب اللطف والنصح والإرشاد، فقال في لين ولطف: يا أولادي! هل تعرفون من أنا؟ فقال السيد محمدي مباشرة: لا يهمني من حضرتك، كل ما يهمني أنني أحبـك جـدا! اقترب الحاج وهو يبتسم كالمنتصر إلى السيد محمدي وقال له في لين: أشكرك جدا يـا ولـدي، ولكن لماذا تحبني يا حبيبي؟ فقال السيد محمدي في شجاعة: لأنك رجل أحمق جدا.

ثم بعد ضيافة مفصلة أعادونا مكسورين منهكين والدماء ت ف من أنوفنا ووجوهنا إلى زنازين انفرادية.

بعد ذلك كانوا يأخذوننا واحدا واحدا إلى التحقيق.

كان السجن عالمًا آخر لا ار فيه، فقد كان الجو ليلًا أبدا، لا نعرف أوقات الصلاة ولا نرى بصيص نور من الشمس، فقد كنا نسمع أصوات بعضنا البعض ولا نرى شيئًا.

بعد عشرة أيام لا ندري ماذا حدث، فإذا م ألبسونا ملابسنا وربطوا أعيننا ثم خرجوا بنا في سيار م، وعلى مقربة من الجامعة فتحوا أعيننا وتركونا وانصرفوا!

استدعينا في نفس اليوم إلى اللجنة الدعوية، وكان قد حضر هناك الـسيد آيـة الله وحيـد الخراساني والوالد، فأول ما رآني أبي قام إلي وبدأ يضربني ويشتمني ويلومني على تصرفاتي.

فقال السيد محمدي للوالد: قد ضربوه بقدر الكفاية، وقد شبع ضربا وشتما، علـى الأقـل حضرتك لا تضربه أكثر.

فثار الوالد في وجه السيد «محمدي» وبدأ يشتمه بألفاظ ركيكة وقال له: بأن الأمر لا يهمك.

بعد هذه الرحلة إلى مدرسة سيدنا يوسف عليه السلام، قررنا ألا نقوم بأية حركات حماسـية مثيرة، ولابد أن ندرس أي عمل نقوم به مسبقًا لنعرف عواقبه وآثاره.

قررنا ألا نصرح بعقائدنا على الملأ وألا نقيم صلاة الجماعة في الجامعة، وألا نكتب الشعارات على السبورة وقد رجعت - كما كان يقول هؤلاء السادة - عقولنا، وأصبحنا ندرك الواقع.

وكنت أشعر بأن السبب الرئيسي وراء كل ما حدث لنا هو الدكتور حكاكيان عضو ا لمس العلمي في الجامعة، ولعله كان من عناصر المخابرات كذلك.

اللقاء بـآية الله وحيد الخراساني
وآية الله أستادي

قال لي آية الله وحيد الخراساني في مكتب اللجنة الدعوية: تعالوا إلى قم في أول فرصة تجدو ا، ليكون لنا لقاء آخر هناك، نتحدث فيه بالتفصيل.

وبعد بضعة أشهر من بدء الفصل الدراسي الحادي عشر سافرنا إلى قم لنلتقي بآية الله وحيـد الخراساني.

ذهبنا مباشرة إلى الحوزة العلمية بقم، لكننا شعرنا بغربة عجيبة في المكان وإن كنا قد قـضينا هناك عدة سنوات من عمرنا نعرف الأساتذة والطلاب ويعرفوننا، إلا أن هذه المرة كـان الجـو يختلف تماما، فقد لاحظنا العيون تراقبنا في كل مكان وتنظر إلينا بشيء من الريب والشك وشيء من التحقير والتذليل.

كانت الشفاه تتحرك بعبارات فيها تعريض أو استهزاء أو استنكار لما نحن عليه من الحق، فلم نجد رغبة في البقاء في الحوزة العلمية.

ذهبنا إلى بيت السيد آية الله وحيد الخراساني، أشعرنا آية الله بحركاته ونظراته أن تلك الـصلة الودية التي كانت بيننا من صلة الطالب والأستاذ وتلك الروابط الصادقة وذلك الحب والود قـد انتهى دوره.

مع هذا كله لم نقصر في حقه فكنا نشعر بعظيم حقه وبفضله الكبير علينا، فقد كان أسـتاذنا وشيخنا.

اهتم بنا اهتماما خاصا طول فترة دراستنا، وكنا نخصه بالاحترام والتبجيل ونـشعر تجاهـه بالعطف والمحبة، ولاسيما وأنه تدخل شخصيا في قضيتنا، فلم نخرج من السجن إلا بشفاعة وتزكية وتوصية منه.

أيا كان الأمر فتح باب المناقشة والبحث.

قال لنا السيد آية الله وحيد الخراساني مستهزئًا بنا: مرحبا بكم! فقد كنتم أفـضل طـلاب

«الحوزة» أخلاقًا ودراسة وتفوقًا ونشاطًا، وكأنكم سادة الطلاب وأمراءهم، وها أنتم الآن قـد جرحتم مشاعري وأخجلتموني، فمرحبا بكم يا سادة الطلاب وأمراءهم!

لابد لنا أن نفتخر بكم فقد خيبتم ظن الأساتذة فيكم، وضيعتم رسالة «الحوزة العلمية» بقم، أكبر قاعدة ننطلق منها نحو العالم.

كنا نثق بكم ونحترمكم ونعرف لكم مكانتكم، كنا نبعثكم للمناظرات والمناقشات إلى المناطق السنية، كنا نرى فيكم رجالا يعتزون «بحوز م العلمية» ويفتخرون بحملهم لواء المكتب العلوي، ويتباهون بحبهم لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن مع الأسف الشديد لم تكونوا عنـد حسن الظن، فها أنتم ضيعتم آمالنا، نكّستم رؤوسنا ورأس جامعتكم العلمية ورأس المكتب العلوي كله.

ماذا سيقول الناس عنا؟ ماذا سيقول التاريخ عنكم؟ رجال كان من المفروض أن يحملوا رايـة أهل البيت عليهم السلام إلى العالمين، فإذا م ينقلبون أعداءً لأهل البيت سلام الله عليهم؟!

كنا نتصور أن ذهابكم إلى المناطق السنية وأنتم طلاب نشيطون ومتفوقون في الدراسة سوف يؤثر في هؤلاء الناس، وسوف تنيرون الدروب أمامهم وتأخذون بأيديهم إلى نور الحق وتصححون أفكارهم وعقائدهم الخاطئة، ولكنكم جعلتمونا نستحيي من أنفسنا، فقد كان التأثير سلبيا تمامـا خلاف ما كنا نظنه، قد أثرت فيكم دعايات مجموعة من الوهابيين الذين جبلوا على اللجاجة مع المذهب العلوي، وعلى عداوة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فبدل أن تخرجـوهم مـن الظلمات إلى النور وقعتم في شراكهم، وأغمضتم أعينكم عن النور، وسقطتم في دياجير الظلمـة، وخنتم عقائدكم الشيعية المباركة بدل أن تفتخروا وتعتزوا ا.

بدأتم تلعبون بأصول المذهب وثوابته، وجعلتمونا وجعلتم «الحوزة العلمية» والمكتب العلـوي وحتى أسركم وعوائلكم أضحوكة أمام الناس.

جعلتم بحركاتكم الصبيانية طلاب الجامعة في طهران يشكون في صحة معتقدا م ومذهبهم!

أصبح الطلاب البسطاء يشكون في كل شيء، ولم يعودوا يرغبون في المـشاركة في الـبرامج التعبدية والجلسات المذهبية، وها أنتم تتحملون جرير م ووزرهم.

أهنتم المذهب الشيعي المبارك، وبحماقتكم طعنتم في معتقداته وأصوله وأفكاره.

لم يشهد تاريخ المذهب نكسة وضربة من أبنائه مثل ما شهده منكم، ألا تستحيون من مواقفكم؟

كيف ستقابلون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ بأي وجه ستقفون أمام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟

ماذا سيكون موقفكم أمام أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم؟

بعد هذا الكلام العاطفي بدأ آية الله يخفض صوته. وقال بنبرة فيها شيء من العطف: يا أولادي، قد يواجه المرء مشاكل اقتصادية، وقد يلعب الشيطان برأسه ويحاول الهروب من مشاكله فينجر إلى ترك مذهبه الشيعي المبارك طمعا لدراهم معدودة، يقدمها إليه بعض الوهابيين من أعداء أهل البيت الذين تفننوا في شراء الذمم، لكن من يعشق أهل البيت يترك لنفسه خطًا للرجعة، وأنا مستعد أن أقدم لكم ما تريدونه من المال، أستطيع أن أساعدكم بخمسة ملايين تومان وإن شئتم حتى بعشرة ملايين!

كنت أنا وصاحبي علي رضا محمدي نكِن لآية الله الخراساني احتراما خاصا، لم نكن نبدي أية حركة أو ننطق بأية كلمة يمكن أن تحمل على قلة الأدب والاحترام، لكن الأمر في هذا الموقف كان يتعلق بالعقيدة وبالدفاع عن الحق، فمع مراعاتنا لكل المفاهيم الأخلاقية التي تقتضيها علاقة الطالب بشيخه، كان ولابد أن نجيب على هذه النصائح الكريمة وهذا الطعن الشديد الذي وجهه إلينا سعادة آية الله الخراساني، فكسرت حاجز الصمتِ وقطعت كلام السيد الخراساني وقلت: سعادة الشيخ! حضرتكم تعرفون أكثر من غيركم مدى حبنا لسيدنا علي المرتضى عليه السلام ولأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، والقضية ليست عداوةً لأهل البيت كما صورتموها، وإنما قضيتنا هي قضية العقيدة لا غير.

فنحن بعد دراسة وتعمق وبحث أدركنا أننا كنا نعيش في ظلمات من الخرافات والبدع والشركيات، ووجدنا بأن أهل السنة على الحق الذي كان عليه سيدنا علي عليه السلام، وأ م هم هواة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأ م هم حاملوا لواء أهل البيت وأصحاب عقيدة أهل البيت لا نحن.

ماذا تعني الدنيا أمام هذه المفاهيم؟!

يا سعادة الشيخ! والله لا تساوي الدنيا كلها أمام ما أدركناه من الحق حبة خردل ولا أقل من ذلك، لم نكن يوما ما بفضل الله عز وجل بحاجة أن نبيع ديننا بثمن بخس دراهم معدودة، ولـن نبيعه.

لذا أفهمنا الشيخ بأننا لم نخرج في هذا الطريق لنرجع منه، وأننا مصرون على عقيدتنا ولـن نرجع عنها وإن قُطعنا إربا إربا، أو وضعت المناشير على رؤوسنا وقسمونا نصفين أو حرقونا بالنار كإمام الموحدين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ثم تجرأت وقلت للشيخ: أعتذر جدا من حضرتكم أنني أطرح هذا الكلام أمـام سـعادتكم، ولكن بما أن حديثنا عن العقيدة، فلابد من الاعتزاز بما نؤمن به..

حضرتكم تتحدثون عن خمسة ملايين تومان، وها نحن مستعدون أن ندفع لكم عشرين مليون تومان لترجعوا عما أنتم فيه إلى الحق الذي وصلنا إليه وتصبحوا من أهل السنة والجماعة.

شعرنا بأن الاستمرار في الحديث مع آية الله الخراساني وبقاءنا مع حضرته لن يحل مشكلتنا معه ولن تتغير نظرته إلينا، ولن يفهمنا، بل حديثنا يزيد الفجوة بيننا ويضع بذور الكره والبغضاء بيننا، فرأينا أن نجمع أطراف الحديث ونستأذن من حضرته، فودعناه وخرجنا من عنده.

قال لنا عند الخروج: أوصاني السيد آية الله «أستادي» بأن أقول لكم أن تذهبوا إليـه بعـد لقائكم معي.

سمعنا كلامه وخرجنا من عنده أكثر إيمانا بما نحن عليه من الحق.

ذهبنا إلى بيت السيد آية الله أستادي، وكان في حضرته السيد آية الله مكارم الشيرازي.

كان السيد آية الله أستادي رئيسا للحوزة العلمية بقم، دامت جلستنا معه أكثر من ساعة كرر فيها نفس الكلام الذي قاله لنا آية الله الخراساني... لم نصل في هذا اللقـاء كـذلك إلى شـيء، فودعناه وعدنا إلى طهران.

شعرنا عند وداع هؤلاء المشايخ وكبار آيات «قم» أنهم تألموا جدا وحزنوا وتأسفوا كثيرا على ضلالنا كما يزعمون!

السفر إلى كاشان وإلقاء محاضرة
في مسجد بكاشان

سافرت برفقة صاحبي علي رضا محمدي بسيارتنا إلى «كاشان»..

كنا قد وضعنا خطة محكمة لنطبقها في هذا السفر، فقد اتفقنا أن نذهب إلى ابن «آية الله مدني» رئيس الحوزة العلمية هناك، ونستأذنه في إلقاء محاضرة هناك.

كنا ندرك جيدا أن هذه الحركة قد تسبب لنا مشاكل عديدة، وقد نفقد رؤوسنا في هذا الطريق، فطرح القضايا العقدية والحديث عن التوحيد في مثل هذه المدينة التي اشتهرت بالتعصب والعناد واللجاجة ليس أمرا هينا، لكننا كنا شعلة من الاعتزاز والفخر بما وصلنا إليه من الحق.

كنا نحاول أن نترجم ما في صدورنا بالخوض في مثل هذه المواقف الصعبة والحرجة..

كنا نرى بأن موقفنا هذا يشبه العمليات الاستشهادية في أعمق أراضي الأعداء وفي جمع من أكبر قيادا م، وأننا إن عدنا من هذه الرحلة سالمين فسوف تكون هي بداية المعركة الحاسمة..

أعترف أن هذه العواطف والإحساسات التي كانت تترجم اعتزازنا وفخرنا بما نؤمن به جعلتنا لا نقرأ الواقع قراءة حكيمة، ولا نفكر جيدا بالآثار التي قد تتركه مثل هذه المواقف، كنا نجازف بأنفسنا دون دراسة منهجية للواقع.

وصلنا إلى «كاشان» للخوض في هذه ا ازفة الخطيرة، وذهبنا مباشرة إلى بيت السيد «المدني» ابن آية الله المدني، وكانت لنا صداقة قديمة معه، فاتحناه في قضية المحاضرة، وطلبنا منه أن يرتب لنا برنامجا للمحاضرة.

لم يكن السيد المدني قد اطلع على ا ريات الأخيرة وعلى أننا أصبحنا من أهل السنة والجماعة، ولم يكن سمع بما حدث لنا في الجامعة وما أحدثناه هناك، فرحب بنا..

وفي إحدى المناسبات المذهبية الخاصة رتب لنا برنامجا حافلًا نحاضر فيه في إحدى المساجد الكبيرة في مدينة «كاشان».

واستطعنا أن نقدم برنامجا أحر من الجمر أخرجنا فيه كل ما في جعبتنا، وتحدثنا عن كل حق

وصلنا إليه خلال دراساتنا وبحوثنا على الملأ..

لا أنسى أن أشير بأن السيد محمدي رحمه الله كان يعاني من مشكلة في لسانه لا يستطيع أن يفصح جيدا، فكان يقدمني في المحاضرات.

حاولت في بداية حديثي أن أتحدث بشكل عام وأشرح الأصول العقائدية بشكل مجمل، ومن هناك أدخل في المبادئ والعقائد الصحيحة دون أن أثير مشاعر الناس وأحاسيسهم، لكن الأمر فيما يبدو خرج من يدي وقلت كل شيء أؤمن به بكل صراحة وصدق، ووضعت عدة علامات استفهام بارزة على المذهب الشيعي، كانت جديرة بأن تقلعه من جذوره وتصرخ ببطلانه.

تحدثت بإسهاب عن شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعن مناقبه وعن مكانته بين الخلفاء الراشدين، وبين صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم زدت الطين بلّة بأن قلت: لم يكن إسلام سيدنا علي عليه السلام بتلك الأهمية التي يتحدثون عنها، فلا يستدعي الأمر كل هذه الدبدبة والكبكبة والاعتزاز والتفاخر والمباهاة والضجيج، فقد كان علي عليه السلام، صبيا يعيش في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد رباه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكان ولابد أن يتجلى صدى أخلاقه وأفكاره وعقائده صلى الله عليه وسلم في هذا الصبي الذي يعيش في كنفه.

لكن الإسلام الذي لابد أن نفتخر به هو إيمان عمر رضي الله عنه، الذي كان قائدا يستطيع أن يحرك قبيلة وراءه، فهذا الذي كان كجلمود صخر صلب تغير وصار ذلك الأمير الذي غير العالم وسطر على صفحات التاريخ كل هذا ا د والعز للإسلام والمسلمين(١).

ثم تحدثت عن «أبي لؤلؤة» ا وسي الملعون، وتلك المؤامرة النجسة التي أدت إلى استشهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

ولعل الحضور لم يكونوا قد سمعوا مثل هذا الكلام في حيا م أبدا، ولم يكونوا قط يتصورون أن يسمعوا مثل هذا الحديث من عالم شيعي على منبر مسجد شيعي وفي مدينة مثل «كاشان»، فكانوا كمن ضربته الصاعقة يحترق في جلده فلا يستطيع الحراك.

(١) صدر مؤخرا كتاب للأستاذ حسن العلوي بعنوان: (عمر والتشيع) وهو كتاب رائع في بابه.

كان الناس ينظرون إلي بأفواه فاغرة ملأ ا الحيرة والتعجب، ولا يكادون يصدقون آذا م فيما يسمعونه.

ولعل في صدور الجميع كان يدور: ماذا أصاب هذا العالم الشيعي؟ هل جن أم دخل في جلده العفاريت، يتحدث عن عمر عدو أهل البيت ذا الاحترام والتبجيل، ويعتز بذكر اسمه والحـديث عن سيرته.

شعرت بحركات مريبة في الحضور، فرأيت من الأفضل أن أكتفي ـذا فجمعـت أطـراف الحديث وأ يت محاضرتي، ثم استطعنا أن نخرج من المسجد بسرعة، فركبنا سيارتنا وانطلقنا نحـو طهران.

لم يمر وقت طويل إلا والإشاعات تنتشر في كل مكان عما حدث في «كاشان»، وصل الكلام إلى جامعتنا بأن مجموعة من الوهابيين من علماء السنة لبسوا زي علمائنا الشيعة وخطبوا في مسجد في «كاشان»، طعنوا في عقائد الشيعة ودعوا إلى عقائدهم الوهابية.

ما وصل إلى جامعتنا من الخبر كان صدى لخطبة إمام جمعة مدينة «كاشان» الـذي وضـع المسؤولية على عاتق المخابرات، وأمن الدولة التي لا تؤدي واجبا ا كما ينبغي إلى درجة أن تجـرأ اثنان من الوهابية أن يلبسا زي علماء أهل البيت ويلطخوا منابر مساجدنا ويتحدثوا عن أعـداء أهل البيت حديثًا يفتت القلوب، فقد رفع هؤلاء الوهابيون شأن عدو أهل البيت الأول ومجـدوه ووضعوا له فضائل ومناقب على منبر من منابر عشاق أهل البيت أصحاب المذهب الشيعي المبارك، وتباكى على غزوه في عقر داره.

لفترة طويلة ظلت أخبار ما دار في «كاشان» حديث مجالس الطلاب ينفخون فيها ويزيـدون وينقصون ويعلقون ويفسرون حسب ما يحلوا لهم..

وما إن هدأ الجو حتى وصلت الأخبار بأن الطالب السني السجين «محمد رضا موسايي» الذي فقدنا أخباره من يوم أن دخل زنازين المخابرات الموحشة فقد عقله تحـت التعـذيب الروحـي والجسمي ولاسيما الصدمات الكهربائية في الرأس والمخ، ونقل قبل أيام إلى مستشفى ا ـانين في طهران فذهبت برفقة صديقي «محمدي» إلى عيادته هناك.

وجدناه مسكينا ذليلًا فقد عقله تماما، فما كان يعرفنا ولا يشعر بما يدور حوله أبدا.

ظل أكثر من نصف ساعة يحملق في وجوهنا ويضحك بصوت عال.

تأثرنا جدا بما رأينا من وضع زميلنا محمد رضا موسايي، وكدنا نموت حزنا وغيظًا على حالته، فقد كان صاحب ذكاء وعقل لم نجد له مثيلًا، كان أبرز الوجوه العلمية بين طلاب كلية الطـب، وكان من الممكن أن يصبح من عباقرة الطب في هذا العالم الضائع..

في منتصف الفصل الدراسي الثاني عشر سمعنا بأن الطالب «محمد رضا موسـايي» استـشهد على تلك الحالة المؤسفة فإنا لله وإنا إليه راجعون..

أسأل الله القدير أن يغفر له ذنبه ويكتبه في الشهداء الأبرار، ويجمعنا به في عليين إخوانا علـى سرر متقابلين، وأن يعوض الأمة خيرا منه، وألا يحرمنا أجر جهاده وصبره وثباته رحمة الله عليه..

الفصل من الجامعة والسجن والتعذيب

كنا في بداية الفصل الثالث عشر الجامعي، وقد كثرت الإشاعات عن المحاضرة التي ألقيت في مسجد «كاشان» وعن الوهابيين الذين قاموا بهذا العمل، ثم جاء خبر استشهاد الزميل «محمد رضا موسايي» فقررنا أن نتجنب أي عمل قد يحدث بلبلة في البيئة الجامعية، فتركنا إقامة الصلاة جماعة، فقد كان المسؤولون يخافون منها كثيرا، ويشعرون بالضيق والحنق الشديد تجاهنا كلما أقمنا الصلاة جماعة، ولاسيما مسؤولي اللجنة الدعوية، فقد كانوا يظهرون عنادهم ويعارضوننا أكثر كُلما أدينا الصلاة جماعة.

كان وقع خبر استشهاد الزميل «محمد رضا موسايي» شديدا على جميع الطلاب، لم نستطع أن نتجاهل هذه الحادثة فأردنا أن نقيم جلسة ذكرى لهذا الشهيد البريء.

أقمنا برنامجا لذكرى هذا الشهيد حضره عدد كبير من الطلاب ولعل طلاب الشيعة الذين حضروا كانوا يتجاوزون التسعين طالبا.

جرنا الكلام في المحاضرات التي ألقيناها بهذه المناسبة الأليمة إلى الحديث عن الوهابيين الذين خطبا في «مسجد كاشان»، واعترفنا على الملأ بأن هذين الوهابيين لم يكونا إلا أنا والسيد محمدي رحمه الله.

في اليوم التالي استدعينا إلى مكتب اللجنة الدعوية في الجامعة، ومرة أخرى وجدنا رأس الأفعى يرقد هناك السيد، وهو الدكتور حكاكيان.

كان هذا اللقاء بمثابة التحذير الأخير والإنذار الشديد إن أقمنا برنامجا آخر على هذا المنوال فسوف تضطر الإدارة أن تتخذ مواقفًا شديدة تجاهنا.

بعد فترة وجيزة ولمناسبة أخرى أرادت الجامعة أن تعقد برنامجا آخر، وكان أحد العلماء مسؤولًا عن التخطيط لهذا البرنامج وإدارته.

جاء إلي وبدأ يرفع من شأني ويذكرني بمناقبي وصفاتي العالية وأنني كذا وكذا!! ثم بدأ يحكي قصة البرنامج الذي رتبه، وقدم لي ظرفًا كان فيه خمسين ألف تومان كهدية تذكارية ثم قال: نرجو

من حضرتكم أن تتكرموا مشكورين بتلاوة بعض آيات كلام الله ا يد في هذا البرنامج، ولكـن حضرتك تعرف جيدا أن الأجواء عكرة، وألْسن الناس طويلة لا ترحم، فلو تتكرم وتختم قراءتك بقولك «صدق الله العلي العظيم» تكون قد مننت علينا.

أول ما جاء الرجل بدأت أشك في نواياه، وهنا تأكد لي أن هناك دسيسة وراء الحكاية، وأ م يقصدون شيئًا من وراء هذه الحكاية، لعلهم عرفوا أنني أصبحت من السنة وهم يظنون بأن أهـل السنة يكرهون عليا كما يكرهون هم سائر صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأ م يأبون أن ينطقوا اسمه حتى ولو في القراءة! [1].

كان موقفًا مضحكًا مبكيا، عقلية في غاية الحمق والجهل، وهل هناك أحد من مسلمي السنة يكره اسم «علي»؟

السنة هم الذين يدعون لاتباع علي، ويدرسون سيرته ويبجلونه، ويرون حبه مـن علامـات الإيمان وكرهه من علامات النفاق[2].

لكنني أردت أن أذل هذا الرجل الأحمق وأغيظه، فقلت له: لا يا سيد، أنا لن أقول «صدق الله العلي العظيم» وسأقول معتزا «صدق الله العظيم» فقط.

بدأ السيد رضايي هذا يجادلني وأنا أصر على موقفي ووصل الأمر بنا إلى أن وضعت الظـرف الذي جاء به في يده وقلت له: يا صاحبي! كفى الله المؤمنين القتال، أنا لن أحضر جلستك هـذه ولن أقرأ فيها القرآن.

بدأ البرنامج ويبدو أ م لم يجدوا من يفتتح البرنامج بآيات من القرآن الحكيم، فمن ثم أتوا إلي يرجونني وأنا أرفض القراءة، إلى أن تدخل بعض الأساتذة ولاسيما السيد الـدكتور «هـدايت» المحترم، فاضطررت أن أقوم وأتلو بعض الآيات ثم أردفت قراءتي بقولي «صدق الله العظيم» ليكون شوكة في حلوقهم.

---

(١) الشيعة ينهون قراء م للقرآن بقولهم «صدق الله العلي العظيم»، ويظنون أن لفظ «العلي» هنا يعني سيدنا علي المرتـضى رضي الله عنه، وبما أن السنة عادةً ينهون تلاو م للقرآن ا يد بعبارة «صدق الله العظيم» فيظنون بأن الـسنة يكرهـون عليا، فمن ثم لا يذكرون اسمه في هذا الموضع.

(٢) عن زر قال: قال علي رضي الله عنه: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أنـه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق) رواه مسلم.

بعد هذه الحادثة بيومين أو ثلاث استدعيت إلى مكتب رئيس الجامعة وبعد نصف ساعة أصدروا قرار فصلي من جامعة «الشهيد شتي» بعد سبع سنوات من الدراسة فيها، وهكذا تم فصلي من الجامعة.

ثار صديقي محمدي عند سماع هذا الحكم الجائر وحزن حزنا شديدا وأراد أن يتشاجر مع الرجل الذي قدم لي قرار الفصل، لكن الرجل المسكين قال بكل بساطة: ليس لي من الأمر شيء، أما أنا فقد كُلفت أن أبلغكم هذا القرار، وأنا لم أصدر الحكم، وإنما جاء الحكم من قبل إدارة الجامعة وا لس العلمي.

وبعد استلام قرار الفصل اتصلت بالوالد وأخبرته بالأمر، فغضب غضبا شديدا وبدأ يستهزئ بي ويقول: مبروك عليك! هل ارتحت الآن؟! اذهب اذبح بقرة وارقص فرحا..

رجعت إلى البيت وكنت حزينا ومضطربا، وبدأ أبي وأمي وجدي وجدتي والأسرة كلهم يلومونني ويخرجون غيظهم وغضبهم على رأسي.

حاول والدي إصلاح الأمر لأعود إلى الجامعة، فقبلت إدارة الجامعة ذلك شريطة أن أتوب، ووضعوا شروطًا تعجيزية أمامي لم يكن لي أن أخضع لها أبدا..

وفي إحدى الأيام لقيني أحد المشايخ من أعضاء اللجنة الدعوية في الجامعة، وقال لي: رأيت في المنام أنك تبت ورجعت إلى الحق، وعدت إلى الجامعة مرة أخرى، فأجبته: أبعدك الله من الشرور يا سيدي، هذا من نفثات الشيطان، ولا تعبير له.

السفر إلى بلوشستان

بعد الفصل من الجامعة وشتائم الأهل ولومهم وغضبهم - ولاسيما غضب الوالدين - أصبح جو البيت لا يطاق، فقررت مع صاحبي «محمدي» أن نسافر إلى بلوشستان مرة أخرى.

وفي بلوشستان التقينا ببعض المشايخ وشرحنا لهم وضعنا وقلنا بأننا كنا من الشيعة وأصبحنا الآن من أهل السنة والجماعة، ورجوناهم أن يسمحوا لنا بأن ندرس في مدارسهم الدينية، لكنهم لم يستطيعوا أن يصدقونا وظنوا بأننا من رجال المخابرات نريد التجسس عليهم، فاعتذروا عنا بكل احترام وقالوا بأن المدرسين والطلاب هنا يتحدثون بلغاتهم المحلية، وأن العدد قد اكتمل عندنا فليس هناك مجال في السكن الطلابي، وأننا نواجه مشاكل اقتصادية، وإمكاناتنا ضعيفة لا نستطيع أن نستضيفكم و... وهكذا رفضونا بتبريرات واهية، لكننا كنا نشعر بالحقيقة في قرارة أنفسنا، فهم لم يكونوا يصدقونا ولم يكونوا يستطيعون أن يثقوا بكلامنا، فمن كثرة ما كذب الشيعة وجعلوا الكذب والدجل شعارا لهم على طوال التاريخ لم يعد أحد من المسلمين قادرا أن يصدق شيعيا!!

لم نجد أمامنا فرصة للبقاء، فاضطررنا للرجوع إلى طهران مرة أخرى..

العودة إلى طهران

لم يكن ينتظرني في البيت بعدما عدت من هذا السفر القصير مـن بلوشـستان، إلا والـدي الغضبان الثائر الذي نسي كل معاني الأبوة والعطف وحتى مكانته الاجتماعية كرجـل طبيـب أكاديمي، ونزل علي بالضرب والشتم واللطم والركل وأخذ سلكًا كهربائيا قويا وضربني به حـتى شبع.

لم تستطع أمي أن تصبر على هذا الموقف العدائي الشديد، وهذا الضرب والتعذيب فأرادت أن تتدخل، فلم يكن حظها أفضل مني، حيث ضر ا أبي ضربا شديدا.

أغمي علي في ذلك اليوم واليوم التالي عدة مرات، فكانوا يسكبون على رأسي مـاءً بـاردا لأعود إلى صوابي.

لما تعب أبي من ضربي، وأراد أن يخرج من البيت ربط يدي ورجلي وعلّقني كما يعلق الجزار الكبش الذي ذبحه ويريد سلخه.

اتصلت والدتي بصديقي «محمدي» وشرحت له حكايتي كلها، وطلبت منه أن يحضر ويخرجني من هذه الورطة.

وصل محمدي وكنت في حالة ضعف وإغماء شديد، فحملني على ظهره وأخرجني من البيت.

لم تمر من هذه الحادثة إلا بضعة أيام وتم القبض علي وعلى صديقي محمدي رحمه الله.

السجن مرة أخرى

كنت جالسا في بيت السيد محمدي، وما زالت تلك الصورة أمام عيني كانت بنته الصغيرة - ذات الأربع سنوات - واضعة أمامها طستا كبيرا من الماء، آخذةً تلعب بالماء..

فجأة طُرق باب البيت بوحشية شديدة، ثم دخل البيت مجموعة من رجال المخابرات ووضعوا القيد في يدي ويدي صديقي محمدي، وبدؤوا يجروننا إلى الخارج.

جرت البنت الصغيرة نحو أبيها تصرخ وتبكي وتحاول بسذاجتها وطهرها الطفولي أن تخرج القيد من أيدي والدها، ولما شعرت بأن محاولاتها في فتح القيد قد باءت بالفشل أخذت برجل أبيها تحاول أن تجره إلى داخل البيت، وتصرخ وتبكي بصوت عال.. كانت صورة مؤلمة جدا، كانت لوحدها كافية في أن تدمع عيون كل إنسان وتجرح مشاعر أي بشر وتفجر قلبه، لكن أنى يكون لزبانية النار ولدعاة السجون قلوب في الصدور!!

لم يكن أمام الأب إلا أن يحضن بنته بأيدٍ مكبلة، ويقبلها على جبينها ورأسها ويودعها إلى أجل غير معلوم وإلى مصير مجهول..

طفلة بريئة لا تدري ماذا يجري حولها، وأب يودعها إلى حيث لا يدري، إلى مكان الذاهب إليه مفقود والقادم منه مولود..

صورة كلها مشاعر حب وحنان في جو يحكمه ظلم وطغيان.. صورة لو أدركتها الصخور الصامتة في الجبال الراسيات لتفجرت عيونا تجري منها الدماء، لكن أنى لقلوب الحديد أن تعطف على العينين فتدمع.. فهذه القلوب تتلذذ بمصائب الناس وترتوي من عويلهم وبكائهم.

أخذونا إلى حيث لا ندري، وعرفنا فيما بعد بأنها كانت وحدة المخابرات الدولية.

لم يكن تعاملهم هناك سيئًا، فلم يضربونا ولم يعذبونا، وكان معظم وقتنا يقضى بين السين والجيم، يسألوننا ونجيب، يستفسرون ونشرح، ثم يعودون من جديد إلى نفس الأسئلة لنعيد نفس الأجوبة.

كانت معظم الأسئلة تدور حول محور: كيف ضللتم؟ من الذي أضلكم؟ ما هي أسباب

ضلالتكم؟

أعتقد أن هذه المسرحية دامت عشرة أيام إلى اثنى عشر يوما، نسمع نفس الأسـئلة ونفـس الهتافات ونعيد نفس الأجوبة.

ظلت عيوننا مربوطة في كل تلك الفترة، إلا عندما كانوا يعيدوننا إلى الزنزانة!

قال لي صديقي محمدي رحمه الله: إني شعرت في إحدى جلسات التحقيق بوجـود عمـك «فرشيد».

ومن هنا عرفنا بأن عمي عميل للمخابرات.

بيت الأشباح أو غرف التعذيب

بعد هذه الفترة التي قضيناها في التحقيق - قرابة اثني عشر يوما - نقلونا إلى قسم التعـذيب، وكان مكانا مخيفًا يشبه قلاع الأشباح، وبيوت الشياطين، سلمونا إلى أناس آخرين، كانت عيوننا مربوطة.

تركنا من كان يرافقنا وبدؤوا يذهبون، فإذا بمن استقبلنا يخاطبهم بصوت ضخم يشبه صوت زبانية النار أو شياطين العقاب: هل هؤلاء هم أصحاب عمر وأعداء علي؟!

ذهب هؤلاء الجنود وبقينا في هذا المكان الموحش بين أيدي أناس آخرين، سمعنا نفس الصوت المخيف يخاطبنا بغرور وخبث: هل تعرفون إلى أين جئتم؟

سكت قليلًا ثم أصدر ضحكة شيطانية وقال: هنا مصنع الرجال، يحضرون لنا الحمير والبغـال لنصنع منها بشرا سويا..

كان صوت هذا الرجل الذي كانوا ينادونه بـ«الحاج» وطريقته في الكلام مخيفًا جدا، شعرنا بشيء من الخوف يدب في قلوبنا.

وضعوا كل واحد منا في زنزانة انفرادية لوحده، ويبدو أن الزنازين كانت بعيدة عن بعضها، فبعد جهد كنا نستطيع أن نسمع أصوات بعضنا.

كانت الزنازين تشبه كهوف الأجنة قد كانت رائحتها نتنة قبيحة جدا، وكأ ا قبور مفتوحة تعفنت فيها أجساد الأموات، وكان الجو فيها رطبا..

بقينا فيها فترة طويلة جدا، وبعد هذه الفترة العصيبة التي تعذبنا خلالها في هذا المكان المخيف أخذونا إلى الحساب والكتاب كما كانوا يسمونه..

في البداية أخذوا السيد محمدي، ولا أدري ماذا فعلوا به، ثم بعد فتـرة قـصيرة جـاؤوا إلي وجروني إلى هناك.

صرخوا في: إنك تزعم أنك لا تعترف وبدؤوا يكيلون لي اللطمات والركلات.

كان المضحك في الأمر أنني لم أكن أفهم ماذا يقصدون بـ«الاعتراف»، وبمـاذا يجـب أن

أعترف؟

لأنني كنت قد قلت لهم كل ما كنت أعرفه، وما كنت أؤمن به دون محاباة ولا خوف..

قلنا لهم كل شيء في لقائنا الأول في قسم المخابرات الدولية، فلم يبق عندنا ما نقولـه بعـد ذلك.

فهم في الواقع كما كان يقول السيد محمدي: كانوا يريدوننا أن نعترف بأشياء لا نعرف عنها شيئًا!!

كان الاعتراف لغزا وسرا مجهولًا بالنسبة لنا، لا ندري ما كنهه، فما كنا نعرف ماذا يجب أن نعترف حتى يرضى عنا زبانية العقاب، فيرفعوا عن ظهورنا سياطهم، أو يخففوا عنا بعضا من ألوان عقا م.

تركونا يوما أو يومين في آلامنا ثم أعادونا للاعتراف مرة أخرى.

بدأ الضرب والتعذيب مرة أخرى، وركزوا هذه المرة على الفلق - الضرب بالـسياط تحـت الأقدام - وكان الدم ي ف من وجوهنا وأقدامنا..

لم نكن نعرف ماذا يجب أن نعترف به..

شعروا مرة أخرى باليأس من الاعتراف، أرجعونا إلى زنزانتنا لتندمل الجروح بعض الشيء..

في المرحلة الثالثة أخذونا بعد عدة أيام إلى صالة كبيرة، وكأ ا كانت سردابا تحـت الأرض، وكان ا أجهزة خاصة للتعذيب تعمل من تلقاء نفسها، وتقوم تلقائيا بما يجب عليها من العقاب.

ماذا حدث لنا في تلك الصالة اللعينة؟!

وماذا صنعوا بنا وكيف عذبونا بصور وحشية يعجز قلمي عن تصويرها، بل أكاد أجن كلما تعود تلك الصور إلى خاطري؟!

أسأل الله عز وجل ألا يسوق أي إنسان مهما كان من أمره إلى هذا المكان.

انقطعنا في هذا المكان عن الأسباب الدنيوية كلها، وكنا نستغفر الله ونبتهل إليه ونتضرع بين يديه...

عدنا إلى الزنازين ليأخذونا بعد عدة أيام إلى الرحلة الرابعة من الضيافة.

كانت هذه الوجبة أخبث الوجبات السابقة، تعذيب لم يخطر لنا على بال، التعذيب بالقرصات أو اللدغات أو الصدمات الكهربائية على أطراف الرأس والمخ، كنا لأول مرة نواجه مثل هذه المواقف العصيبة.

كلما كانوا يوصلون الكهرباء إلى رؤوسنا كنا نشعر وكأن آذاننا تنفجر ويخرج منها الدم بغزارة.

كنا نصبر على هذا العقاب الشديد ونحتسبه عند الله، ونحاول أن نقاوم هذه الهمجية لكن سرعان ما يغمى علينا.

لا ندري بعد ذلك ماذا يفعلون بنا، إلى أن نعود إلى الحياة، ويعودوا إلى العقاب.. أعادوا إلينا هذا التعذيب عدة مرات، ثم أخذونا إلى وجبة جديدة..

ربطوا أرجلنا وعلّقونا على أعمدة حديدية طويلة، فكان يخرج ما في بطوننا من أفواهنا وأنوفنا ويعيدون الحركة بشدة وعنجهية ووحشية لا توصف، إلى أن بدأ الدم يخرج من أفواهنا وعيوننا وآذاننا وأنوفنا.

وفي المرحلة الأخيرة من العقاب أخذوا السيد محمدي أولًا، ولا أدري ماذا صنعوا به، ولما جاء دوري وأخذوني إلى المجزرة رأيت الدماء تجري على مكان تعذيب علي رضا محمدي، وتوقعت بأنه استشهد قبلي.

بدأت أحسده إذ سبقني إلى الجنة والسعادة الأبدية، وتركني أتحمل هذا العقاب وحدي.

كانت قطرات الدم الطازج على المنصة والمكتب الذي أجلسوني عليه، شعرت بأنني اقتربت من نهاية المطاف، واعتناق الموت..

كنت أشعر بشيء من السعادة من جانب وبشيء من الحسرة من جانب آخر، فلم أكن قدمت لديني ما أعتز به عند ربي!!

لا أدري ماذا حدث هناك، لكن ما إن فتحت عيني وجدت نفسي في زنزانتي وجسمي كله يؤلمني ألمًا شديدا، ولا أستطيع الحراك، كنت أشعر بالضعف الشديد، كنت كالميت الجامد الذي لا

يقدر على الحركة، ليس فيه من الحياة إلا الروح.

بعد هذا التعذيب الذي يبدو أ ا المرحلة الأخيرة، تركونا لمدة ثلاثة أيام لا يعذبوننا.

وبعد ذلك عرفنا أ م كانوا يعدوننا للذهاب إلى المحكمة، فتركونا لتندمل الجروح شيئا مـا، ولنتقوى على الوقوف على أرجلنا.

بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام بعد أن استطعنا أن نقف على أرجلنا، أخذونا إلى المحكمة الخاصة بالعلماء.

وأول ما دخلنا المحكمة رأيت بأن والدي قد حضرا، كنت أحاول ألا يراني أبي، وكنت أختفي خلف الجنود الذين أحضرونا إلى هذا المكان، لكن أبي شعر بي، ولم أتبادل التحيات مع أحد مـن أقاربي أو أصدقائي حتى والدي، لا أدري إن كنت لا أرغب في ذلك، أو أنني لم أكن أستطيع أن أفعل ذلك، أو أنه لم يكن مسموحا أن أسلم على أحد منهم حتى لا أكشف للناس عما فعلوه بنا.

كنا صامتين لا ننطق بشيء.

وبعدما حضر السيد «سليمي» رئيس المحكمة، قرئت موارد الا ام وكان كالآتي:

١. الارتداد عن الدين الحنيف.

٢. إعلان الحرب على الله عز وجل.

٣. الإفساد في الأرض.

٤. التجسس لأمريكا وإسرائيل.

لا أدري كيف دافعنا عن أنفسنا، ولا أذكر ما قلناه هناك، كل ما أذكره أننا تركنا أمرنـا لله وتوكلنا عليه سبحانه وتعالى، وقطعنا رجاءنا عن جميع المخلوقات، ولم يكن في قلوبنا إلا الله.

أصدر القاضي «سليمي» رئيس المحكمة حكمه بأن ننقل إلى سجن «أويـن» إلى أن تنظـر المحكمة في الا امات من جديد..

ومع أن المحكمة أصدرت حكمها بنقلنا إلى سجن «أوين» إلا أن أصحابنا كأ م لم يشبعوا منا فأخذنا الجنود إلى نفس المكان ونفس الزنازين وإلى مرحلة جديدة من التعذيب..

استضافونا هذه المرة كذلك بألوان جديدة من التعذيب وبوجبة أخـرى مـن الـصدمات الكهربائية في المخ وأطراف الرأس، ثم لما شبعوا منا نقلونا إلى سجن «أوين».

سجن أوين

دخولنا في سجن أوين كان فرجا كبيرا بالنسبة لنا، كنا كمن يخرج من الجحيم إلى الجنة، أو من النار إلى الحدائق الجميلة!!

على الأقل لم نكن نرى هنا تلك الوجوه الشيطانية وتلك النعرات الوحـشية لزبانيـة قلعـة الأشباح، ولم نكن نتوقع مثل ذلك التعذيب في هذا المكان.

بقينا فترة طويلة نعاني من الضعف الشديد، والتعب والجراح، بدأت القوة والصحة تعـود إلى أجسامنا شيئًا فشيئًا.

كان «أوين» سجنا كبيرا، ترى فيه كل أنواع البشر من كل فئات ا تمع، ومن كل الألوان والثقافات والأقوام، لكن التعذيب ترك آثاره الخطيرة على أنفسنا ومشاعرنا، فلم نكـن نرغـب بالاقتراب من أحد من الناس أو بالحديث مع أحد من السجناء.

وبعد فترة طويلة زارني والدي في السجن، كنت أشعر بأ ما أُرغما على هذه الزيـارة فلـم يكونا يرغبان في اللقاء معي، كما لم تكن نفسيتي ترغب برؤية أحد من الناس، شعرت خلال هذا اللقاء أن مواقف أبي لانت قليلًا، وإن كنت لا أهتم كثيرا بحديثه..

بعد فترة زارني كذلك والد صديقي محمدي، وبعد مقدمة طويلة قـال لي: إن طلبـوكم إلى المحكمة مرة أخرى، أرجو أن تضع كل شيء على نفسك، وقل بأنك وحدك المتهم وأن علي رضا بريء من كل شيء، فإن خرج هو من السجن، نحاول نحن جميعا في البحث عن طريقة نخرجك ا من السجن، وحاول أن يقنعني بذلك وحلف لي عدة مرات.

لم يكن حديثه وكلامه يهمني، ولم أكن أُصدق حلفه ولا ألتفت إلى عهوده، لكنني كنت أتمنى أن يخرج محمدي قبلي، وذلك لسببين:

الأول: أن تلك الصورة العاطفية التي شاهد ا يوم القبض علينا من وداعه لابنتـه الـصغيرة، وتلك الدموع التي كانت تجري على خد الطفلة البريئة كانت دائما في خاطري، وكنـت دائمـا أراها في أحلامي وأ ا تحاول أن تفك يدي والدها ولا تستطيع.

الثاني: كنت أشعر بأن والد صديقي محمدي ما زال يفكر في ولده ويحبه.

عاهدت والد محمدي بأنني سأعلن في المحكمة بأنني أنا ا رم الوحيد وأنني خـدعت الـسيد محمدي، وليس له دخل في كل هذه الجرائم، وهو بريء منها علما بأن صديقي محمدي لم يكـن على علم بما جرى بيني وبين أبيه من العهود والمواثيق.

عندما حضرنا إلى المحكمة للمرة الثانية، أعلنت عن مسؤوليتي تجاه كل تلك الا امات، وقلت بأن صديقي محمدي لم يكن له في كل هذه الأمور شيء، وإنما أنا خدعته، فصدر حكم المحكمـة على براءته، وأفرج عنه بعد ثلاثة أشهر بعد أخذ المواثيق والضمان.

وبعد ستة أشهر -تقريبا - من البقاء في سجن «أوين»، بدأت آثار الصدمات الكهربائية تظهر على مخي وأعصابي، فعدة مرات أصبت بجلطة في مخي وسقطت مغشيا علي.

تدهورت صحتي مع الأيام وكثرت حالات الإغماء والاضطرابات العصبية إلى درجة أن رفع المساجين تدهور حالتي الصحية إلى إدارة السجن، ولما رأت إدارة السجن خطورة حالتي الـصحية والنفسية رفعت الأمر إلى المحكمة.

أُخذت إلى المحكمة للمرة الثالثة وكان قد حضرها عدد كبير من أقاربي ومعارفي وأصـدقائي، كان بينهم الدكتور حكاكيان الملعون وقد عرفت فيما بعد أن كثيرا منهم أحضروا ليشهدوا علي، وأصدرت المحكمة قرارا بالإفراج عني شريطة وضع ضمان يساوي خمسا وثلاثين مليون تومان..

وهكذا انتهت هذه الفترة الرهيبة وقد تركت آثارها في جسمي وأعصابي، وما زلت أعاني من آثار ذلك التعذيب الهمجي وتلك الصدمات الكهربائية في رأسي.

السفر إلى مشهد برفقة الوالدين

بعد تسليم الضمان إلى المحكمة تم الإفراج عني عام ١٣٧٧ش (الموافق لـ ١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ).

لكن وضعي الجسمي والصحي لم يكن مناسبا أبدا.

كان أبي قد تغير كثيرا، فكنت تحت إشراف طبي مباشر منه، بدأت صحتي تتحسن شيئًا فشيئًا.

كان أبي يحاول أن يرتب المستندات والأوراق اللازمة ليبعثني إلى خارج البلد لإكمال دراستي هناك..

لم تكن هناك أية مشكلة تعرقل برنامج أبي إلا إصراري على عقائدي، وعلى أنني لن أتنازل عنها أبدا، وأنني سأبقى عليها إلى أن ألقى الله ولن أتنازل عنها قيد أنملة.

حاول والدي كثيرا، لكنهم لم يفلحوا في أن يؤثروا في شيئًا.. في نهاية الأمر شعروا بأن الأمر قد خرج من أيديهم، وبناءً على معتقداتهم الشيعية رأوا أن يلتجئوا إلى سيدنا الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد، ليطلبوا من حضرته أن يتدخل في أمري ويرجعني إلى الصواب.

قررا أن نسافر معا إلى زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام لعله يجيب دعوتهم..

كانوا قد رتبوا برنامج السفر إلى مشهد بطريقة سرية بعيدا عني؛ لئلا أشعر بما يدور في رؤوسهم؛ فطرحوا الفكرة بحيث أننا بحاجة إلى سفر سياحي نمرح فيه بعض الوقت حتى يذهب عنا هذا التعب الجسمي والروحي، وقالوا بأن أفضل مكان للسياحة هي مدينة مشهد المقدسة، فسافرنا إليها..

وفي إحدى الأيام التي قضيناها في مشهد طرحوا فكرة زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام، فذهبنا إلى هناك، وعند المرقد أخرجت أمي سلسلة حديدية كانت معها وحاولت أن تضعها على رقبتي لتربطني بالشبكة الفولاذية عند المرقد..

وعرفت من هذا الموقف أنهم يريدون أن يربطوني بالمرقد ثم يطلبوا من الإمام أن يشفيني أو

يتشفع عند الله عز وجل ليذهب عني ما أجده من الأفكار الضالة ويرشدني إلى المذهب الـشيعي الذي كنت عليه على حسب زعمهم.

أثر هذا الموقف علي كثيرا وتأسفت جدا، وكدت أموت حزنا على ما أجده من أمـي وأبي المثقفين، فقلت: يا أماه! هل أنا كلب حصور لتضعي هذه السلاسل على عنقي وتـربطيني ـذا الحديد؟!

حاولت أن أُفهم والدي وقلت لهما: يا أبي العزيز! ويا أمي العزيزة! أنتما مثقفان وعاقلان، ما هذه الترهات التي تؤمنان ا، توبا إلى الله عز وجل والتمسا منه كل ما تريدانه، فهو يجيب دعـوة المضطر إذا دعاه، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فلم تتركانه وتلتجئـان إلى هـذه الخرافـات والبدع؟

لكن أمي كانت مصرةً على موقفها وتقول: يا بني! ما أشرف أن يكون الإنسان كلبا للإمام الرضا، هذا فخر وليس عيبا.

كنت أحاول أن أُقنع أمي لكنها لم تكن تسمعني، ولما عجزت أمامهـا وغلبـتني العواطـف والحب والاحترام الذي كنت أُكنه لها، قلت والحزن يفتت قلبي: يا سيدي الإمام الرضا! إذا كنت تقدر على المعجزات فها أنا بين يديك خذ روحي لأتخلص من أمي!

هذا الكلام أثر في والدتي فتنازلت عن لجاجتها وموقفها.. وابتعدت عن والدتي ولا أدري ماذا صنعت هي وكيف أكملت زيار ا للإمام الرضا، ذهبت بعيدا عنها وجلست في زاوية أقرأ القرآن وأطلب من خالق «الإمام الرضا» أن يهدينا جميعا إلى الحق والصراط المستقيم..

وهكذا انتهت رحلتنا وزياراتنا لمشهد وعدنا إلى طهران.

تحسنت في طهران أكثر من ذي قبل، وبدأت الصحة تعود إلي وكنت أشعر بالراحة والطمأنينة بين أسرتي، وإذا بالدكتور حكاكيان رمز الخبث والدجل والشر يظهر في بيتنا من جديد.

جاء بخبثه ونفاقه الدفين يعتذر عما حدث ويقر بأخطائه ويريد أن يصلح ما أفـسد لتعـود الصلات والروابط الاجتماعية من جديد، وليثبت صدق نواياه قدم إلي مسدسا وقال: أصبح كثير من الناس يعادونك الآن، فخذ هذا المسدس عندك، وأنا أعاهدك أن أحصل لك على وثيقة رسمية تسمح لك بحمل السلاح.

لكنني عرفت فيما بعد أن هذا المنافق كان يريد مني أن أرتكب جريمة قتل أو أن أُمسك وأنـا أحمل المسدس فتزداد علي جرائمي التي يزعمو ا جريمة أخرى.

وهنا لابد أن أشير إلى أنه يوم أن أُصيب صديقي الشهيد ورفيق درب هدايتي علـي رضـا محمدي وكنت أنقله إلى المستشفى، قال لي والدم ي ف منه: بأنه عرف قضية المسدس الذي قدمه لي الدكتور حكاكيان المنافق، وعرف بأن الرجل يكيد لنا، فأخذ المسدس من سيارتي دون علـم مني وأخفاه في مكان آمن..

وبعد الرجوع من «مشهد» إلى طهران تعبت من كثرة المكوث في البيت وقررت مع صاحبي علي رضا أن نسافر إلى كردستان..

وفي كردستان قدمنا أربع محاضرات في أماكن مختلفة في زي علماء الشيعة، ولم نكن ندري أن المخابرات تراقبنا، وتتبعنا في كل خطواتنا، وأن محاضراتنا كانت تسجل.

بعد هذه المحاضرات شعرنا بأن عملاء المخابرات يراقبوننا في كل مكان، وعرفنا بأ م وصلوا إلى قناعة بأننا أصبحنا كالغدة السرطانية ولابد أن يتخلصوا منا بأي طريق كان.

فلما شعرنا بالخطر رجعنا مباشرة إلى طهران، كانت الأجهزة الاستخباراتية تراقبنـا في كـل مكان، فشعرنا بأن الأمر قد حسم وأ م يريدون القبض علينا أو اغتيالنا لا محالة، فلم نكن نذهب إلى بيوتنا وكنا نختفي في بيوت الأقارب والأصدقاء.

استشهاد علي رضا محمدي رحمه الله

بعد الرجوع من كردستان في مساء إحدى الأيام خرجت مع صاحبي علي رضـا محمـدي بسيارتي الخاصة، وكنا نريد الذهاب إلى «كرج»، فشعرنا في ميدان «ولي عصر» في طهران بـأن سيارة المخابرات تراقبنا، فأخذنا عدة لفّات في ميادين المدينة وأسواقها وشوارعها المزدحمة وأزقتها الضيقة، وبعد أن شعرنا بأ م افتقدونا دخلنا في طريق «كرج»، لكن الأجهـزة الاسـتخباراتية كانت قد رتبت أمورها بشكل جيد، ففي الطريق وجدناهم قد سدوا علينا الطريق بسيارة مـن سيارات المخابرات ينتظروننا، فبسرعة شديدة غيرنا اتجاهنا صوب طهران مرة أخرى، ولم نكن قد ابتعدنا عن المكان كثيرا فإذا بسيارة أخرى اقتربت منا ورشت علينا وابلًا من الرصاص.

أصيب أخي علي رضا في كتفه وصدره، فأخذت السيارة إلى جانب الطريق وأوقفتها، وظن رجال المخابرات بأ م قد تخلصوا منا، فلم يقفوا وأكملوا طريقهم إلى طهران.

كانت الإصابة شديدة، وكان الدم يـ ف بشدة من أخي علي رضا، فأخذتـه مباشـرة إلى مستشفى «لبافي نجاد»[(1)]، وتقريبا كانت الساعة الثالثة مساءً عندما نقلوه إلى غرفة العمليات، ولم تنجح مساعي الأطباء، وفي الساعة الثانية عشرة ليلًا صعدت روح صديقي ورفيق دربي الوحيـد علي رضا محمدي إلى بارئها، وتركني في هذه الدنيا وحيدا من غير مؤنس يؤنسني ومن غير صديق يرافقني، فإنا لله وإنا إليه راجعون..

الظروف الأمنية لم تكن تسمح لي بأن أحضر صلاة الجنازة عليه، وإن كان برنامج دفنه برنامجا بسيطًا للغاية.

وبعد يوم أو يومين ذهبت خفية إلى بيت والد الشهيد لأعزيه، وعرفت من خلال ما قالـه لي والد الشهيد، ومن خلال تعاملهم معي أ م يعتبرونني السبب الأول في استشهاد ابنـهم، لكـنني كنت في قرارة نفسي أرى بأ ا كانت مشيئة الله وقدره أن أخذه إلى نفسه، فهذه الدنيا الدنيـة لا تستحق أن يخلد فيها الأبرار الصالحون، وأن أخي وصاحبي علي رضا كان أفضل مني فاختاره الله

---

(1) بيمارستان لبافى نثراد.

عز وجل للقائه ولم يخترني..

هكذا ذهب أخي وصاحبي علي رضا محمدي شهيدا إلى ربه لينعم في جنان الخلد إن شاء الله، وبقيت أتحمل المصائب والآلام وحدي من دون صاحب يؤنسني ومن دون رفيق يرافقني، ومـن دون صديق يشاركني آلام المحنة ويصبرني على البلاء، ويرفع عني بعض ثقله.



استشهاد أخي أرسطو رادمهر

ظل عملاء المخابرات يبحثون عني في كل مكان، كنت أتحرك خفية بين بيـوت الأقـارب والأصدقاء..

لم أكن أذهب إلى بيتي ولا ألتقي بأسرتي، بلغ الأمر بوالدي مبلغه فكانا في شـدة الغـضب والحزن، ولعلهم كانوا يتمنون أن يتم القبض علي ليتخلّصوا من شري..

كانت أجنحة المخابرات تراقب حركا م وسكنا م وتحاول أن تصل إلي بأي طريق كـان، ليغتالوني أو ليقبضوا علي..

في هذه الظروف الصعبة وقد ضاقت علي الأرض بما رحبت لم يكن لي من يواسيني إلا أخي الشقيق «أرسطو»..

لم يكن يوافقني في أفكاري وعقائدي لكن صلة الرحم ورابطة الدم والحب الفطـري الـذي وضعه الله بيننا كان يجعله يهتم بي ويفكر في نجاتي من هذه الورطة، إلى أن حدثت لنا هذه الحادثة:

سبق لي أن رتبت مجموعة من المقالات تحت عنوان «الجيل المحروق»[1] تتحدث عن عقائـد ورؤى الشباب بعد الثورة، وكنت قد كتبت بعضها في السجن، والبعض الآخر في أيام اختفـائي وهروبي عن أعين المخابرات، وكنت سلمتها لمؤسسة «سروش» لتنشرها، وجد ا فرصة لأذهب إلى المؤسسة لأستلم الكتاب إن كانوا قد طبعوه، ويبدو بأن أخي شـعر أنـني وقعـت في فـخ المخابرات، وأ م وصلوا إلي، وعِلم بخروجي إلى مؤسسة سروش..

فجأة وجدته دخل «دار نشر سروش» خائفًا مضطربا ومعه الدكتور «هدايت» ويبدو أنـه رافقه دون أن يعرف ما يجري حوله، وقال لي: المخابرات وراءك، هيا اهرب والحق بي بسرعة..

خرجنا مباشرة وركبنا سيارته وتحركنا، وقد رآنا جنود المخابرات فكانوا يتبعوننا بسيار م..

كنا نتحرك نحو طريق «قم» ولم نبتعد كثيرا فإذا بسيارة المخابرات اقتربت منا وبدءوا يطلقون

---

(١) نسل سوخته.

النار علينا..

نزل وابل من الرصاص على السيارة فمزقها تمزيقًا، وأصيب أخي في رأسه ورقبته..

بعدما رأيت نزيف الدم الذي أُصيب به عرفت بأنه انتقل إلى رحمة الله عز وجل من ساعته، فإنا لله وإنا إليه راجعون..

أخذت أخي الشهيد في نفس السيارة إلى البيت، وأخبرت والدي بكل ما حدث من سماعة جرس البيت - آيفون - وكنت أخاف أن ألتقي به، فتركت جثمان الشهيد في السيارة وهربت من هناك، ولم أتمكن أن أشارك في صلاة الجنازة على أخي الشهيد رحمة الله عليه..

بعد استشهاد أخي لم يبق لي من يساندني أو يقف بجواري في طهران، وكأن المدينة الكبيرة التي ولدت فيها وقضيت فيها أجمل أيام صباي أصبحت لي موحشة لا مأوى لي فيها ولا ملجأ، فقررت أن أخرج من البلد إلى تركيا، ولكن الظروف لم تسمح بذلك، فاضطررت إلى الذهاب إلى مدينة «كرمانشاه»، وبعد أشهر قليلة تم القبض علي في «كرمانشاه» وأدخلت السجن، فقد ضعت في مدينة «كرمانشاه» وبقيت تحت ظِلال الخوف والهروب من مكان إلى آخر، وفي النهاية ألقي القبض علي، وتجدد السجن والتعذيب.

حكاية مؤلمة لا تتحملها هذه الخواطر السريعة، ولا أرى ضرورة لسردها هنا، فعالم المأساة سماء داكنة تقذف نارا، وأرض ضيقة لا تتجاوز سم الخياط وتحمل فوقها ألوان العذاب..

كنت أعيش هذه المآسي وحدي، وقد ذهب شهيد آخر ممن كانوا يواسونني.. أخي «أرسطو» الذي لم يتركه أعداء السعادة أن يذوق حلاوة عرسه، فقد استشهد في السادس والعشرين من الشهر، وكانت الأسرة قد رتبت برنامج زواجه في التاسع والعشرين، فلعنة الله على أعداء الحرية.. شياطين الإجرام.. عشاق الظلام..

السجن في كرمانشاه

بعد استشهاد أخي «أرسطو» أصبحت مدينة صباي وأحلامي «طهران» الكبيرة بالنسبة لي جحرا صغيرا لا يسعني، فلم يكن فيها من تعجبه رؤيتي، حتى أسرتي ووالدي.

وبعد فترة وجيزة ذهبت إلى «كرمانشاه» لأذهب من هناك إلى «كردستان»..

ماذا حدث لي في «كرمانشاه»؟ وكيف قضيت أيامي هناك؟

حكاية طويلة لا داعي لذكرها هنا، فيكفي أن أُشير إلى أنني قضيت فيها أياما شديدة، كان كل يوم منها كألف سنة، هكذا قضيت عدة أشهر هناك.

وكان من سوء الأمر أني كنت في بيت رجل كانت بينه وبين زوجته مشاكل، وفي إحدى الأيام اشتد الخلاف بينهما فخرجت الزوجة من البيت، واتصلت بالمخابرات وأخبرتهم بأن زوجها آوى رجلًا هاربا من القانون، ومن معارضي الحكومة، وأنه الآن في البيت..

لم نعرف الحكاية إلا بعد أن نزل جنود المخابرات كالصاعقة علينا، وبدأت حكاية جديدة من المآسي، تعذيب لا يطاق، وعذاب لا يحتمل في سجون شيطانية لا توصف..

قضيت أياما عصيبة بين مخالب المخابرات في سجن «ديزل آباد» في مدينة «كرمانشاه» ثم نقلوني بالطائرة إلى طهران.. إلى مكاني الأول «المخابرات الدولي» وإلى نفس مكان التعذيب، دار الشياطين وقلعة العذاب الملعونة.

كانت وجبات التعذيب هذه المرة أشد من سابقتها، لا أستطيع وصفها، كلما تأتي تلك الصور الموحشة إلى خاطري يقف شعر رأسي خوفًا بمجرد ذكراها..

قضيت قرابة ثلاثة أشهر تحت نيران عقابهم وعذابهم، ليس لي ذنب إلا قولي: «ربي الله، لا أعبد إلا إياه، مخلصا له ديني».

وبعد ذلك نقلت إلى المحكمة الخاصة بالعلماء التي أصدرت قرارها بأن أنقل إلى سجن «أوين» في طهران وبعد فترة نقلوني إلى سجن «القصر» في طهران فخطبت فيه بين المساجين، فنقلوني منه إلى السجن الرئيسي في «أراك» ثم أرجعوني أخيرا إلى سجن «أوين» في طهران.

لم تمر علي أيام في «أوين» وإذا بذلك الدكتور الملعون - الدكتور حكاكيان - يأتي لزيـارتي إلى السجن، حاول أن يربط قضيتي بأسرتي من جديد ليعذ م مرة أخرى، وكانت في رأسه خطة خبيثة، فقد كان يحاول أن يجبرني على أن أطلق زوجتي.

ظل يكرر في زياراته لي أن زوجتي طلبت من المحكمة الطلاق مني، كان يذهب إلى زوجـتي ويقول لها: لم يبق أمل في نجاة زوجك وحياته أبدا، ولن يخرج هذه المـرة مـن الـسجن إلا إلى المشنقة، ويحرضها على رفع القضية إلى المحكمة والمطالبة بالطلاق..

بدأ اللعين يجري بيننا إلى أن استطاع أن يهيئ جوا متوترا بيننا، ودون علم مسبق مـني ودون إكمال الإجراءات القانونية للطلاق أصدرت المحكمة حكم الطلاق والفصل بيني وبين زوجتي..

تعرفت في السجن على مجموعة من المثقفين والمتنورين والمفكرين الكبار مما جعلني أشعر بشيء من الراحة.

وكانوا قد عينوا لي محاميا ليدافع عني، لا أدري كيف كـان وكيـف دارت الأمـور وراء (الكواليس)، وكيف طرح المحامي قضيتي، أُخذت عدة مرات إلى المحكمة التي وصلت في النهاية إلى قرار الإعدام..

أبلغ المحامي حكم الإعدام إلى أسرتي، لكنني حتى ذلك الوقت لم أكن أعرف بـأن المحكمـة أصدرت قرارها، إلى أن طلبتني المحكمة يوما، فأخذني مجموعة من حراس الـسجن إلى مكتـب القاضي.

دخلنا مكتب القاضي وكان هناك نزاع ومشاجرة شديدة بين واحد من قضاة المحكمة ورجل آخر، فجر النقاش بينهما إلى الصراع والضرب، وكانت أيدي مرافقي من حراس السجن مربوطة بالقيد الحديدي الذي بيدي، فاضطروا لحفظ النظام أن يفتحوا القيد ليتدخلوا في الأمر..

وهكذا وجدت فرصةً مناسبة، فدخلت في الزحام واستطعت أن أهرب من هناك بطريقـة لا أجد لها تفسيرا إلا الرعاية الربانية.

كان من قدر الله عز وجل أن أعيش أياما أخرى، فيسر لي سبيل النجاة من أيـدي هـؤلاء الحراس شياطين العذاب.

هكذا استطعت بعون من الله عز وجل بعد تسعة أشهر قضيتها في السجن والعذاب أن أهرب

من أيديهم..

اتصلت بأسرتي بعد فترة، وعرفت بأن المحكمة أصدرت حكم الطلاق دون علمي..

ذهبت إلى زوجتي لأخبرها بحقيقة الأمر، لكنها قالت لي: بأ ا بدأت حياة جديدة هادئة بعيدة عني وعن مشاكلي، وطلبت مني أن أتركها ولا أعكر عليها الجو..

من أجل راحتها ومن أجل سعادة ابني الوحيد عسى أن يعيش في جو من الهناء والمحبة، أ يت صلتي بزوجتي للأبد، رجاء أن يعيشا في أمان وراحة ورجاء أن يأخذ الله عز وجل بأيـديهما إلى الصراط المستقيم.

بحمد لله عز وجل منذ عام ١٣٧٨ش (٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ) إلى كتابة هذه الـسطور لم أزل على قيد الحياة، وانقطعت صلتي بأسرتي كلها، وأحيانا أتمكن من الاتصال بوالدتي، أما والدي فلا يرغب في الحديث معي أبدا..

بقيت في هذا العالم الكبير المكتظ بالناس وحيدا فريدا ليس لي من البشر أحـد يؤنـسني في وحدتي، وانقطع رجائي إلا من الله عز وجل، أصبحت مهاجرا يرعاني ويحفظني ويرزقني من حيث لا أحتسب.

الهجرة إلى باكستان ومؤامرة الاغتيال

بعد الهروب من السجن كما أشرت، لم يكن لي ملجأ ولا مكان آوي إليه.

كنت أعاني من وضع نفسي سيئ جدا، وآلام وأمراض شديدة، فقررت أن أسافر إلى بلوشستان الإيرانية ومنها إلى بلوشستان الباكستانية في سفر كله مخاطر وحكايات مؤلمة..

وصلت إلى باكستان دون أن أعرف أحدا أو مكانا ألجأ إليه، ودون أن أعرف لغة تمكنني من التفاهم ا لا الأردية ولا البلوشية أو البشتوية..

كان الجو الأمني في باكستان متدهورا جدا نتيجة الحرب الأمريكية على طالبان والقاعدة، والغارات المتتابعة على أفغانستان.. فأثر هذا كله علي عكسيا، وزاد الطين بلة بالنسبة لي.

كلما كنت أطرق باب أي مدرسة دينية للالتحاق ا كانوا يرفضونني، وحتى أحيانا ما كانوا يتركونني أستريح في المساجد، فلم أكن أستطيع أن أتفاهم معهم لعدم معرفتي للغا م..

قضيت أياما صعبة جدا، فقد كانت تمر علي في السفر أيام لا أجد فيها لقمة خبز جاف لآكلها..

قضيت ليالي عديدة في الصحاري والفيافي والجبال بين باكستان وإيران، ولم يكن لي من يصاحبني في وحدتي إلا الحيوانات الوحشية من الذئاب والثعالب والثعابين..

كنت وأنا أتنقل من قرية إلى أخرى في المناطق الحدودية بين إيران وباكستان أشعر أحيانا وكأن المخابرات تتبعني، فكنت ألتجئ إلى الجبال الموحشة، فقد كان خطر الحيوانات الوحشية أقل بكثير من خطر المخابرات وسجو ا الشيطانية..

هكذا مرت علي أيام عصيبة..

وبعد فترة طويلة بقيت في باكستان مهاجرا ألتحف سقف السماء وأتقلب على فراش الأرض، اتصلت بأحد أصدقائي السابقين في طهران وشرحت له وضعي الصحي وظروفي الصعبة، وأعطيته عنواني الكامل في باكستان عسى أن يساعدني، لكنه - سامحه الله - خاب ظني فيه.

لا أدري لماذا؟

هل كان تحت ضغط من المخابرات أو كان عميلًا لهم، أو أ م وعدوه بمال أو مقـام أو لأي سبب آخر؟! لا أدري.

قدم صديقي عنواني إلى المخابرات وأخبرهم بحكايتي وما كان من المخابرات إلا أن بعثوا فريقًا من جنودهم لاغتيالي.

لم أكن أدري عن حكايتهم شيئًا، وكنت في إحدى الليالي أتوضأ في المسجد الذي آويت إليه، وأستعد للصلاة، وإذا بشاب أفغاني دخل المسجد وسلم علي وقال لي: هل أنت إيـراني؟ قلـت: نعم. وعرفته بنفسي ظنا مني أن الفرج قد جاء..

تحدثنا قليلًا وأخبرته بمشاكلي الصحية وما أعانيه من الأمراض - هدايا الـسجون وشـياطين الإنس - وأن الأدوية التي كنت استعملها قد انتهت من زمن بعيد.

فقال لي الشاب الأفغاني: بأنه يعرف مكانا يمكننا أن نحصل على الأدوية من هناك.

خرجت معه عسى أن نحصل على بعض الأدوية، وكانت سيارة أجرة فيها عدد من المسافرين تنتظر أمام المسجد، كان الجو مظلما، فلم أستطع التعرف على من في السيارة، فركبنـا الـسيارة وبعد أن قطعنا شيئًا من الطريق وإذا بصوت يخاطبني من ورائي: السيد رادمهر! حـضرت مـن طهران لآخذك معي، فلا تعمل لي ولا لنفسك مشاكل ورافقني مثل أي إنسان محترم..

كان هذا صوت عمي «فرشيد رادمهر» فعرفت أنني وقعت في الفـخ، وبـدأت أتـضارب وأتقاتل معهم في السيارة عسى أن أتمكن من الهروب، لكن عمي بدأ يطعنني بالسكاكين ويقـول بأن أباك أوصاني إن لم تستطع أن تأتي به حيا فأتني برأسه، ثم بدأ يرش علـى جـسمي «مـاء النار»[1]، وجرحني في يدي وقطع الوريد في رقبتي، لكنني لم أصبر وكنت أضر م بيدي وأركلهم برجلي..

ضربت السائق ضربة فانحرفت السيارة من الشارع وتوقفت، واستطعت أن أخرج من السيارة وأتضارب معهم في الشارع، واجتمع الناس حولنا فصرخت فيهم بما تعلمته من الكلمات الأردية والبلوشية: أنا سني وهؤلاء شيعة يريدون قتلي..

---

(١) تيزاب أو الأسيد.

تدخل الناس وأخرجوني من بين أيديهم، واستطاع ا ـرمون أن يهربوا من هناك..

وهكذا فشلت مؤامر ـم وباءت قضية اغتيالي أو إرجاعي إلى إيران بالفشل، فالحمــد لله رب العالمين..

بعد ذلك، أخذني الناس إلى المستشفى وبقيت عدة أيام في المستشفى تحت الرعايــة الطبيــة الشديدة إلى أن التأمت جروحي وخرجت من المستشفى..

تركت هذه الحادثة الرخيصة وهذا الاغتيال الفاشل آثارا سيئةً علي، أصبحت كثيرا ما أُصاب باختلال نفسي خطير، وكثيرا ما يغمى علي، وبدأت حالتي تزداد سوءًا، فأراجع المراكز الطبيــة للعلاج، لكن لأنني لم أكن أملك مالًا فكانوا لا يهتمون بي اهتماما كبيرا ولا يعالجونني كما يجب.

راجعت المراكز الطبية للعلاج وأخذت عدة تحليلات طبية، ودخلت المختبر الطبي أكثر مــن مرة، وكانت النتيجة الأخيرة أنني أعاني من مشكلة خطيرة في المخ - التومور -.

حكاية ما عانيته في بلوشستان الشرقية والغربية - أو الباكستانية والإيرانية - حكاية مؤلمة تحتاج إلى صفحات كثيرة لأصور فيها قصة الضياع والوحدة، وما عانيته من الأمراض والمشاكل النفسية والروحية، ولا داعي لفتح هذه الصفحات المؤلمة وأكتفي ـذه الإشارة السريعة، وأترك الصفحات الموحشة عسى أن تكون صفحات نور وثواب وأجر في صفحات آخرتي، يوم أن أستلم بإذن الله كتابي بيميني وأصرخ بين الخلائق معتزا فخورا: ((هاؤم اقْرءُوا كِتابِيه *ِإني ظَننت أني ملاقٍ حِسابِيه)) لأنتقل بعدها إلى ((فَهو ِفي عِيشةٍ راضِيةٍ *ِفي جنةٍ عالِيةٍ * قُطُوفُها دانِيةٌ * كُلُوا واشربوا هِنِيئًا ِبما أَسلَفْتم ِفي الأَيامِ الْخالِيةِ)) [الحاقة: ١٩- ٢٤].

الكلمة الأخيرة

عزيزي القارئ..

كما ترى فإنه لم يكن لي أي صلة بأي اتجاه مذهبي أو سياسي، ولم أكن أتبع أي شخـصية سياسية أو مذهبية، وما قدمته إليك من أوراق سيرتي الذاتية لا تدعو إلى أي اتجاه سياسي، وليست دعاية لحزب على حساب آخر، أو لجماعة على حساب أخرى، وإنما واقـع عـشته وحقـائق عايشتها، لا أريد منها إلا أن أكشف عن وجوه لابد للعالم أن يعرفها.. وأن أترجم مأساة الإنسان الحر الأبي الذي يأبى أن يرضخ تحت نيران الظلم والتقليد الأعمى في إيران وفي عالمنا الثالث كمـا يسمونه.

وأن أقول لإخواني الشيعة الذين يعيشون في ظلمات التقليد ولا يتعبون أنفسهم بفتح عيو م على الواقع المكلوم، والحقيقة الضائعة في مجتمعا م: أن درب الهداية مفتوح على مصراعيه، وها أنا قد وضعت بين أيديكم تجربتي الذاتية في هذه الرحلة، لا لأصور لكم معاناة الطريق، وإنما لتكون نبراسا تعرفون في ضوئها الطريق، ومن خلالها تأخذون درسا في التعامل مع ا تمع الذي تعيشون فيه، لئلا تثوروا ثورة عاطفية مثلي؛ بل لتأخذوا طريقكم نحو الحقيقة على شاطئ الأمان، ولأقول لكم أولًا وأخيرا بأن طريق الجنة محفوف بالمخاطر، وأن المسلم لابد أن يمر في حياته على بعض العقبات التي هي بمثابة امتحانات ربانية يضعها الله عز وجل على طريقه: ((أم حسِبتم أَنْ تدخلُوا الْجنةَ ولَما يأْتِكُم مثَلُ الذِين خلَوا مِن قَبلِكُم مستهم الْبأْساءُ والضراءُ وزلْزِلُوا حتى يقُولَ الرسولُ والذِين آمنوا معه متى نصر اللهِ ألا إِن نصر اللهِ قَرِيب)) [البقرة:٢١٤]، وقوله تعالى: ((أحسِب الناس أَنْ يتركُوا أَنْ يقُولُوا آمنا وهم لا يفْتنونَ * ولَقَد فَتنا الذِين مِن قَبلِهم فَلَيعلَمن الله الذِين صدقُوا ولَيعلَمن الْكَاذِبِين)) [العنكبوت: ٢- ٣].

وبما أنني لم أكن أملك حين كتابة هذه الأوراق مراجع ومصادر علمية فلم أدخل في تفاصيل القضايا الفقهية والعقدية التي جاء ذكرها خلال سردي لسيرتي الذاتية.

وحاولت قدر جهدي أن أراعي جانب الحيطة فلا أذكر أسماء بعـض الأشـخاص الـذين ساعدوني أو الأماكن التي اختفيت فيها فترة من الزمن لئلا يمسهم خبث الشياطين بسوء.

وأعود لأجمع ما قلته في النقاط الآتية:

أولًا: من الولادة إلى الجامعة:

كما أشرت فقد ولدت في أسرة شيعية، من أب شيعي وأم شيعية، وهما طبيبان مشهوران، فأبي جراح ومتخصص في أمراض المخ والأعصاب، وأمي جراحة ومتخصصة في أمراض القلب، وكلاهما من أساتذة الجامعات في طهران.

وبما أن والدي كان قد قضى فترة طويلة من حياته في خارج البلد، فقد تربيت تحت رعاية خاصة من أمي الحنونة، التي كانت تعتبر نفسها من أسرة «السادات الحسينية» - نسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام - وكانت عائلتها يضرب بها المثل في التعصب والالتزام بالعقائد والتقاليد الشيعية.

وقد درست إلى مرحلة «حجة الإسلام» ولبست العمامة في «الحوزة العلمية الفيضية» في قم وكنت ملتزما بجميع العقائد والتقاليد المذهبية الشيعية ومؤمنا بها تمام الإيمان..

وكنت في جميع مراحلي الدراسية سواء في الدروس العلمية أو العصرية في المدارس الابتدائية والجامعة، والدروس الدينية في «الحوزة» طالبا متفوقًا ومجتهدا..

كنت دائما تحت رعاية خاصة من أساتذتي في الحوزة العلمية بقم، وتحت اهتمام خاص من إدارة الحوزة..

كان اسمي دائما على رأس قائمة الطلاب المتفوقين في كلية الطب وفي الحوزة العلمية؛ مما جعلني موضع اهتمام الجميع، فقد كان لي دور خاص في برامج إلقاء المحاضرات، والمشاركة في البحوث العلمية، والمناظرات والمناقشات الدينية أو العلمية.

ثانيا: تغيير المذهب أو العقيدة:

ذكرت هنا أهم الأمور التي ساقتني إلى الدراسة والبحث والتدقيق العلمي والتفكير العميق في عقائدي، وكيف أنني وصلت إلى أن المذهب الشيعي مذهب لم يبن على أسس عقدية سليمة، وإنما هو عبارة عن كتلة بدعية نضجت تحت الأهواء السياسية، والمصالح الشخصية مع الزمن، ولم يخرجني من الظلمات إلى النور ولم يفتح عيوني للحقيقة إلا الدراسة والتفكير الجاد والحيادي، ولم

يكن هناك أهداف ولا أطماع ولا أمور أخرى، وإنما الحرص على رضوان الله عز وجل والطمـع في جنانه..

ثالثًا: ابة المطاف:

عزيزي القارئ! أخي المسلم أختي المسلمة! أقاربي وأصدقائي وزملائي! أمـي الحنونـة وأبي المحترم! أستسمحكم عذرا واستأذنكم في أن أطرح أمامكم هذه التساؤلات رجاء أن تفكروا فيها مليا:

ما السبب وما الهدف ومن الذي استطاع أن يجعل شخصا مثلي كان يوما «حجة الإسـلام» وكان من أشهر الخطباء وملحني الأدعية البكائية - روضة خوان - ممن يبكون الناس ويضحكون على عقولهم لفترات طويلة.. وكان شيعيا متعصبا معتزا بمذهبه ودينه.. ما الذي جعله يتغير مئـة وثمانين درجة، وينقلب على كل ما كان يؤمن به، فيضرب به عرض الحائط ويقبل طائعا مختـارا مذهب أهل السنة والجماعة؟!

أي فيلسوف أو حكيم أو مفسر أو محلل للمسائل العقدية أو متخصص في العلـوم النفـسية يستطيع أن يكشف عن الأسباب والدواعي التي تجعل شابا في اللحظات الأخيرة من كلية الطـب ليس بينه وبين أن يصير طبيبا مشهورا تدق له الطبول من أسرة غنية لا تعاني من أيـة مـشاكل اقتصادية أو اجتماعية، من أب طبيب متخصص وأستاذ جامعي وأم طبيبـة متخصـصة أسـتاذة جامعية ويترك كل هذه المظاهر المادية والحياة المرفهة ليعيش حياة الفقر والزهد، بعيدا عن النـاس جميعا من أجل شيء واحد ليس إلا عقيدته التي يعتز ا؟!

ما الذي يجعل هذا الشاب يفضل هذه الحياة الصعبة مع هذه العقيدة الجديدة، بل ويعتز ا ولا يفكر أبدا في العودة إلى ذلك النعيم، ولا يحزن عليها بل يشعر بالخزي والعار من نفسه كيف أنـه قضى تلك الفترة كلها في تلك الضلالات والبدع، ولم يهتد إلى الحق المبين، ويستغفر ربه دومـا، ويسأله أن يغفر له كل ما سبق من أمره.

عزيزي القارئ!

لعل الإجابة على هذه التساؤلات تصعب على الفلاسفة والمحللين والمفكرين والمتخصـصين في المسائل العقدية، أو غير العقدية أو علماء النفس الذين ينظرون إلى الحقائق من زاويـة واحـدة لا

تكاد تتجاوز أرنبة أنوفهم، مما يسمونه بالعلم والتحقيق المختبري والتحليل النفسي.

لكنني أنا «حجة الإسلام» الشيعي السابق من طلاب الحوزة العلمية بقم، والطالب السابق بكلية الطب من جامعة الشهيد بهشتي بطهران، والمهاجر المجهول في هذه الديار المجهولة، أستطيع أن أجيبك بكل صراحة على هذه التساؤلات:

لا يخرج هذا الإنسان من أن يكون:

- مجنونا، وهذا ما يعتقده والدي وأصدقائي وأقاربي الشيعة، وما يقول به أساتذتي من علماء الحوزة العلمية في قم وإدارة الحوزة، والجامعة في طهران، فهم جميعا يظنون بأنني قد جننت، لكن المشكلة التي يواجهونها هي أنهم لا يجدون تفسيرا لجنوني، ولا يستطيعون أن يقدموا جوابا لمثل هذه التساؤلات التي تطرح نفسها، من أو ما الذي جعل هذا الشاب النشيط المتفوق الذكي يجن هذا الجنون؟!

ونفسي مضطرا أن أعترف بما يقولونه، أي: حقًا أنني أصبحت عاشقًا إلى درجة الجنون، أصبحت أعشق الحقيقة، وأعشق الصدق، وأكره الكفر والنفاق والشرك والبدع، فقد زين قلبي بالإيمان وكرّه إلي الكفر والعصيان..

وأزيد لأكشف لهم عن أسباب هذا الجنون، أو ما الذي جعلني أتمرد على الواقع الذي كنت أعيش فيه، فأقول:

ليس هناك سبب أو عامل جعلني أتغير كل هذا التغير إلا تلك القوة أو القدرة التي استطاعت أن تجعلني أميز بين الزيف والحقيقة، وبين الصدق والكذب، وبين الإيجابيات والسلبيات، وبين الهتافات الجوفاء وبين إظهار المحبة الكاذبة وعدم الاتباع، والحب الصادق والإتباع، وبين التباكي والضحك على الأذقان والآلام الصادقة، وبين التلاعب بالدين والعقيدة في سبيل المصالح الآنية، وبين التقوى والصدق، وبين الدين والعقيدة السليمة والشهوات والمصالح الدنيوية، وبين أعداء أهل البيت عليهم السلام الحقيقيين وبين الرموز الصادقة ومحبي الرسول وأصحابه، وبين من يشتم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا لشهواته ويعتبرهم أعداء دين الله، وبين أتباع الشهوات وعبيد المصالح، وبين الإفراط والتفريط، وأصحاب الشك والتردد.

أجل! ليس السبب إلا تلك القوة التي حطمت جسور الجهالة من أمامي، ورفعت ستار

الظلمات من أمام عيني.

تلك القوة التي رفعتني إلى حيث رأيت الحقائق بأم عيني ونفثت في قلـبي وروحـي الإيمـان الصادق...

أجل! تلك القوة هي التي جعلتني أعشق الحقيقة هذا العشق الجنوني...

تلك القوة التي ساقت سلمان الفارسي من عبادة النار إلى عبادة رب النار..

تلك القوة التي ساقت أبا ذر من بطون الفيافي والصحراء إلى حيث الإيمان والتقوى..

تلك القوة التي أخرجت عمر من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن..

تلك القوة التي تخرج الناس على مر الدهور وكر الأزمان من عبادة العبـاد إلى عبـادة رب العباد...

أجل! ليست هي إلا مشيئة الله عز وجل وقدرته ورحمته بي، الله الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ((وَعِنده مفَاتِح الْغيبِ لا يعلَمها إِلا هو ويعلَم ما فِي الْبر والْبحرِ وما تسقُطُ مِن ورقَةٍ إِلا يعلَمها ولا حبةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرضِ ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إِلا فِي كِتابٍ مبِينٍ)) [الأنعام: ٥٩]، ومالك الملك والملكوت، ربنا ورب كل شيء.

أرى نفسي قد جننت من شدة محبتي لله عز وجل، ونذرت حياتي له فلا أرجو سواه، وبعـت له كل ما أملك رجاء أن يهبني رضاه، ولا أقيل في بيعي ولا أستقيل، إن شاء الله.

لست أبدا نادما على ما ضاع مني، بل إنني فخور جدا على ما حصلت عليه، وأرجو ربي أن يجعلني بجوار سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي ترك الدنيا ونعيمها طمعا لرضـوان الله وجنانه، ومات ولم يجدوا له كفنا.

قطعت آمالي ورجائي من الخلق كلهم، وليس لي أمل إلا إليه، ولا رجاء لي إلا بين يديه، فهو ربي ومولاي وهاديي ونصيري، فنعم المولى ونعم النصير.

ولي من الله عز وجل سؤالين أرجوه ألا يحرمني منهما:

الأول: أرجوه سبحانه رجاء من كثرت ذنوبه وقلّت حسناته ولم يجد إلا إياه سامعا مجيبا أن يكتب إخواني «محمد رضا موسايي» و«علي رضا محمدي» و«أرسطو رادمهر» في الشهداء وأن

يجمعني شهيدا م تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، إخوانا على سرر متقابلين.

الثاني: أن يهدي كل هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات الضلالة، وفي براثن الجهـل والبـدع والخرافات والأساطير والإفراط والتفريط، والشك والتردد، ولا سيما والدي العزيزين إلى الحـق المبين والصراط المستقيم؛ فإنه الهادي وهو الذي ((يدعوا إلى دارِ السلامِ ويهدِي من يـشاءُ إلـى صِراطٍ مستقِيمٍ)) [يونس:٢٥].

وإذا كان قد كتب لي أياما أخرى لأعيش فيها على هذه الأرض فليملأها صبرا وثباتا وإيمانـا وصلاحا وتقوى، ويوم أن يأخذ هذا العاشق الولهان - أو ا نون - إلى الدار الأبدية، أسـأله ألا يحرمه من رحمته ومغفرته؛ فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وحسبي الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير..

وأرى من واجب الشكر أن أتقدم بجزيل شكري وامتناني لأخي العزيز أبي عبد الله الذي تحمل لأجلي الكثير والكثير..

مـ ـ ـرتضـ ـ ـ ـى رادمـهـ ـ ـ ـ ـ ـر

«حجة الإسلام» الحوزة العلمية بقم سابقًا

وطالب كلية الطب بجامعة الشهيد شتي

في **طهران سابقًا - والمهاجر ا هول حاليا**

١٩/٣/ ١٣٨٠ش الموافق لـ ٢٧/ربيع الأول/١٤٢٣هـ

* * *

التذييل...

عزيزي القارئ! أخي المسلم أختي المسلمة! هذا الكتاب في الواقع رسالة أقدمها إلى جميع إخواني من الشيعة وإلى الشباب والجيل الجديد، وإلى رجال المستقبل الذين يبحثون عن الحقيقة، والذين تعبوا من ألاعيب أهل الباطل والضلال، وكرهوا مكر أصحاب الأهواء من تجار المذهب والدين، وقد نذرت نفسي - بإذن الله - لأكون دوما في خدمة كل من يبحث عن الحقيقة، وأنا أعلن استعدادي التام للقاء ومدارسة كل من يتعطش إلى الحق، ولمناظرة كل من يشك فيما أعتقده، وقد كتبت بحوثًا في المواضيع الآتية:

- زواج المتعة وآثاره على عالم التشيع.
- تحريف القرآن في عالم التشيع.
- هل أهل السنة والشيعة إخوان متساوون؟
- الجيل المحروق (دراسة تبحث في عقيدة وإيمان الجيل الجديد بعد الثورة الخمينية في إيران)، وستنشر قريبا وتصل إلى أيدي طلاب الحقيقة بإذن الله عز وجل.

* * *

الفهرس

* * *